



UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

كلية الآداب و الفنون

قسم الأدب العربي

تخصص: تعليمية اللغات



UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

تعليمات اللغات بين الأحادية و التعدد

مذكرة تخرج ضمن متطلبات لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الأدب العربي

تخصص تعليمية اللغات

تحت إشراف الدكتور:

❖ حنفي بن ناصر

من إعداد الطالبة:

❖ بلجربة شهيناز

❖ بلغول نصيرة

السنة الجامعية: 2020/2019

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين أمي التي علمتني
أن أكون حجر الزاوية أبي الذي علمني أضع الحياة على
قمة ليس كقمة نيرون رمز الوفاء و رفقاء الدرب
صديقاتي الحنونات إلى رمز المحبة و التعاون
و الاحترام أخي و أخواتي.

إلى رمز الأمل المشرف الدكتور حنيفي بن ناصر
أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

شهيناز

إهداء

أهدي هذا العمل إلى عائلتي الكريمة
أولاً إلى جدي التي كانت سنداً لي و دافع في دراستي
أمي التي علمتني أن أكون مفتاح الصبر
و أبي الذي علمني أن أناضل في هذه الحياة من أجل
الوصول إلى الهدف.
إلى مثال الإخلاص و الوفاء و المحبة صديقاتي شهيناز و
فايزة و حفيظة و نبيلة.
و إلى رمز الأمل و العلم المشرف الدكتور حنيفي بن ناصر.
أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

نصيرة

شكر و تقدير

نتقدم بالشكر الخاص على الأستاذ الدكتور حنفي بن ناصر المشرف على هذا البحث الذي خير معين و موجة في أداء هذا العمل بنصائحه التي كثيرًا ما ذللنا الصعوبات العلمية التي وجهناها أثناء إنجازهِ.

كما لا ننسى جميع أساتذة قسم اللغة العربية الذين لم يخلوا علينا مقدار حبة من مؤازرتهم التي كانت بمثابة الدعم و السند الذين تزودنا بهم في المشوار العلمي.

كما لا يفوتنا أن ننوه بمجهودات الأصدقاء و المقربين الذين ساهموا في إنجاز هذا البحث و إخراجهِ.

إلى كل هؤلاء نقدم تشكراتنا و تقديرنا.

المقدمة العامة

مقدمة:

لقد اعتبرت الأحادية اللغوية في بعض المجتمعات إلى وقت قريب الحالة الطبيعية التي يجب أن تسود داخلها . أما التعدد اللغوي فنظر إليه دوما على أنه حالة اختلال.

الأمر الذي خلق نوعا من حالات الاحتقان في هذه المجتمعات بالنظر إلى أن بعض المجموعات اللغوية رأت في اعتماد الدول أو المجتمعات التي تعيش فيها لغة واحدة ضربا من التهميش لها ومساس بهويتها، والأكثر من ذلك عدم الاعتراف بوجودها أصلا. والمجتمعات كثيرة التي لم تعالج هذه الظواهر بطرق تضمن التعايش بين المجموعات داخل المجتمع الواحد، رأت وحدتها وتماسكها الاجتماعي مهددا بالانهيار إن لم ينهر بعضها.

انطلاقا من ذلك صارت قضيتنا "الأحادية" و"التعدد اللغوي" قضيتين منفصلتين في

الدراسات المعاصرة، وأصبح الاهتمام يهتما كثيرا، خاصة في مجال وضع السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي، وأصبح الباحثون يولونهما اهتماما كبيرا، انطلاقا من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية التي بدأ العالم يعيشها بدءا من بداية القرن الماضي وحتى الآن.

والواقع أن الخوض في هذه القضيتين، أصبح أكثر من ضروري في وقتنا الحالي؛ لأن أنشطة عديدة صارت تهتم بذلك، خاصة تعليمية اللغات، إذ أصبح ملحا ضروري التفكير الجيد في اللسان الذي يجب اختياره لتعليمه، وبحث غايات ذلك جيدا . حتى أن الأمر تجاوز بعض الأحيان قضية الهوية، ليتحول إلى قضية اقتصادية وسياسية محضة .

أمام تغير منطق التعامل من هذه الظاهرة ومحاولة لاستثمارها بالطريقة الأحسن، كان لزاما اللجوء إلى طرق أجدى وأنسب، طرق تعتمد الفعالية لاكتساب هذه اللغات وتعلمها.

لما كان مجتمعنا كغيره يعيش هذا التضارب بين الأحادية والتعدد، ارتأينا البحث في التعليمية انطلاقا من البحث في ظاهرة الأحادية والتعدد اللغوي محاولين إثراء مجموعة من التساؤلات المرتبطة بماهية وآليات هذا التعدد وعلاقته بالواقع، وكيفية الانتفاع منه وجعل تعلم واكتساب هذه اللغات أمرا ممكنا وفعالاً، وماهي المناهج والطرق التي تجعل من هذه المهمة سهلة وواضحة .

تناولنا هذا البحث وفق منهجية تستدعي تدرجا معيناً كان البدء فيه بنزويد القارئ بالمفاهيم والآليات، ثم الانتقال إلى معاينة وتشريح الواقع، ثم اقتراح التصورات والحلول الخاصة، ثم الانتهاء بمجموعة من النتائج وقد استدعت هذه المنهجية اعتماد مدخل وفصلين وخاتمة.

فوطأنا البحث بمدخل تطرقنا فيه إلى اللغة بين المعطى اللساني والمعطى التعليمي،محاولا من وراء ذلك إبراز فكرة جوهرية،تتمثل في أن اللغة منذ ظهورها تجاذبها عاملان أساسيان ،هما البحث فيها ،وفي مستوياتها،وفي وظائفها من جهة،والتركيز على تعليمها وتعلمها من جهة أخرى .

في الفصل الأول حاولنا التركيز على تعليمية اللغة انطلاقا من البحث في التأسيس لها ومفاهيمها واهتماماتها.و التعليمية شديدة الارتباط باللسانيات التطبيقية كان لزاما علينا أن ننطلق من هذه ;لان لها دورا خاصا في بلورة تعليمية اللغات .نبرز بعدها كيف ستسهم هذه النقلة النوعية في إرساء معالم تصور جديدة للتعامل مع اللغة في علاقتها مع مختلف المجالات ،خاصة تعليمها وتعلمها .بعدها انتقلنا إلى إبراز مجالات البحث في اللسانيات التطبيقية ،بعدها خصصنا الحديث التعليمية اللغات من تحديد أصولها المعرفية واهم اهتماماتها .

أما الفصل الثاني انتقلنا فيه لإبراز ملامح الأحادية والتعدد في اللغة ،فبدأنا الحديث عن حالات الأحادية والازدواجية والتعدد ، وحاولنا رصد أمثلة متعددة لذلك ،لننتقل بعدها إلى الحديث عن اللغة الرسمية وعلاقتها بالهوية الوطنية في المجتمعات المتعددة اللغات.

في الأخير ختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها ،انطلاقا من تشريح بسيط ومقاربات متواضعة للواقع التعليمي .

حتى يستوي بحثنا ركزنا على مجموعة من المراجع باللغتين العربية والفرنسية والتي من أهمها

ككل باحثين وجهتنا مجموعة من الصعوبات ،لعل أبرز قلة المراجع المتعلقة بالموضوع وباللغة العربية ،ضف إلى ذلك ما وجدناه مترجما ليرتقي إلى المستوى المطلوب

ما تأمله أن يسهم بحثنا المتواضع جدا في إثراء هذا المجال من الدرس ،فقتننا على الأقل أن يثير الانتباه ولو بقدر يسير إلى أهمية هذه القضايا ،ويذكر بضرورة الاهتمام بها وعدم تجاهلها.

المدخل

المدخل: للغة بين البحث اللساني والممارسة التعليمية.

1. المبحث في اللغة: من التأسيس الى التراكم:

إن المتصفح للمورود الفكري الانساني يجد ان الاهتمام بالبحث في اللغة ضارب في اعماق التاريخ تعود بدايته الى الحضارات قديمة جدا والامر الاكيد ان هذا البحث بقي مستمرا من حينها ولم يتوقف حتى الان والملاحظة ان هذا البحث قد تجسد في مرحلتين اساسيتين عكست معالم هذا المجال من الدروس وتمثلها في مرحلة ما قبل اللسانيات النبوية ومرحلة ما بعد اللسانيات النبوية.

1-1 / مرحلة ما قبل لسانيات النبوية:

مرحلة اعتمدت في اساسها دراسة اللغة كوسيلة واعتمدت المعيارية في تعاملها مع اللغة وتمظهرت هي بدورها في شكل مراحل اوجدتها اغلب الباحثين في اربع متفق حولها هي على التوالي مرحلة النحو المعيارية مرحلة الفيزيولوجيا مرحلة النحو المقارن ومرحلة اللسانيات التاريخية.¹

ان مرحلة النحو المعيارية تؤسس للدرس اللغوي برمته كونها كانت المنطلق لظهور أغلبية العلوم المعيارية الاولى التي كانت تحرص كلها الحرس الشديد على تشكيل اللغة في نموذجيتها وكمالها وكان احتفاءها بالشكل والصواب والبحث عن جانب الجمال فيها وماذا تفسيرها للبلاغة واساس دراستها وتدارسها ثم انتقل الاهتمام الى نشأتها وعلاقتها بالفكر وبالوجود والمنطق ومحاولة البحث في خصائصها وجميع مستوياتها.

نتيجة تطور الفكر الانساني وتطور التدوين وظهور الطباعة وكثرة المصنفات والمخطوطات ومع ظهور الحركات التبشيرية الاولى وبدايات حملات لاستكشاف الاولى للعالم وبداية الحملات الاستعمارية الاولى ستظهر مرحلة ثانية في البحث اللغوي ستعرف بالفيزيولوجيا وكانت الغاية والأساسية الاولى لهذه المرحلة تحقيق النصوص وتأويلها والتعليق عليها وكان من نتائج هذا النوع من الدراسة ان وجدت الفيزيولوجيا نفسها تهتم ايضا بتاريخ الادب والتقاليد والمؤسسات² وفي هذه المرحلة بدأ الاهتمام باستتطاق الموروث الفكري الانساني لمعرفة خصوصيات الحضارات القديمة انطلاقاتها وموروثها المكتوب والواقع ان المنطلق سيكون مع محاولة تحقيق المخطوطات الدينية المسيحية الاولى وما يطبع هذه المرحلة الاهتمام الخاص بالمكتوب والمدون والمخطوط و سترجح الاهتمام باللغة المنطوقة الى المستوى الثاني.

¹ أوجنون مبارك، مدخل لللسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1987، ص12

² حنون مبارك، مدخل لللسانيات سوسير، ص12

ان مرحلة النحو المقارن او ما يصطلح عليه بعضهم بالفيزيولوجيا المقارنة ستطبع اساسا بتطور المنهج العلمي الصحيح وسيعرف الاهتمام باللغة الإنسانية جميعها شيوعا كبيرا وستصبح غايات كل الدراسات اللغوية حينها البحث عن اللغة الاصلية انطلاقا من علاقات التشابه بين جميع اللغات وقد كان لزمنا على أن يعود العلماء حين اقتنائهم بتاريخ اللغة واصلها الاول ونشاتها الى اللغات القديمة يحاول الكشف عن منشأ اللغة في الفصيلة الانسانية وعن الأسس الاولى التي قام عليها التخاطب بالأصوات ذات الدلالة الوضعية¹ والواقع انه نتيجة الخضوع في هذه المشكلات ظهرت اتجاهات اللغوية كثيرة تنبت هذا المنهج ونقصد به المقارن.

ستتخذ مرحلة النحو المقارن بدءا من سنة 1870 منحى مغاير تماما لذلك الذي سبق وستأسس نتيجة لذلك مرحلة جديدة يصلح عليها بمرحلة اللسانيات التاريخية التي ظهرت نتيجة تطور الأسلوب مقارن الذي اعتمد في طرقة العلمية على رصد التطور التاريخي أسلوب جديد لم يعد يهتم بإثبات القرابة بين اللغات بل يهتم بمعرفة جميع التطورات اللفظية في لغة ما من خلال مجموعة تاريخها² وستأسس معالم هذه المرحلة خصوصا بفضل ديال Diez اتجاه الجدد.

1-2/ الدرس اللغوي بعد اللسانيات النبوية:

لقد أحدث ظهور اللسانيات النبوية في مطلع القرن الماضي، كان نتيجتها تحولا جوهريا على مستوى التفكير والمفاهيم، انعكس ايجابيا على مختلف العلوم والمعارف ذات الصلة باللغة والبحث فيها وسيساعد هذه النقلة النوعية في ارساء معالم التصور جديد للتعامل مع اللغة في علاقتها مع مختلف المجالات و سيتبلور اسلوب جديد وتتضح معالمه اكثر فاكثر هذا الاسلوب المنهجي هو دراسة الظاهرة اللغوية في فترة زمنية محددة و بالوصف العلمي البعيد الاحكام المسبقة و معايير الخطأ والصواب.

لقد سار هذا الاسلوب سائدا لدى اكثر الدارسين اللغويين في كل انحاء العالم منذ ان اكتشفت القيمة الحقيقية لمحاضرات دي سوسير...³

¹ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مكتبة نهضة، مصر، ط5، القاهرة، 1962، ص51

² أحمدج محمود قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط1، دمشق، 1999، ص15

³ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص162

2. اللغة والممارسة التعليمية:

مع ظهور المحاضرات الاولى بدا الاهتمام بالتعليم والتعلم كظاهرة حضارية وكانت اللغة هي المادة الاصل والاساس، إن قيام حضارة الهنود كان دافعها الدين وسياستها اللغة والمؤمن بعقيده حينها والمتعلم لتعاليم دينه القارئ لكتابه المقدس الفيديا. vida

ان المصريين القدامى اهتموا ايضا بتعليم لغتهم التي كانت مفتاح ديانتهم وبمعتقداتهم فاستخدموا اسلوب التقليد والتكرار في تعليم القراءة والكتابة.

مع اليونانيين سيأخذ تعليم اللغة ابعادا تختلف كليا اما كان محفوظا من قبل اذا ستأخذ اللغة مكانة تتفاعل فيها مع علوم اخرى وستزدهر البحوث اللغوية و سيولي الاغريق تعليم اللغة عناية قصوى.

مع الحضارة الرومانية سيؤسس للتعليم بمفهومه البيداغوجي خصوصا في جانب اللغة ومع الحضارة الرومانية سيؤسس لطرق التعلم الاولى التقليدية للغة وبداية الاهتمام باللغات الأجنبية ويتمثل ذلك خصوصا في التعلم وتعليم اللغة اليونانية

لقد اهتم العرب كذلك بتعلم لغة وتعليمها حيث كان للغة الشأن الاكبر في موروثهم الفكري وكان العربي لا ينبهر الا بفصيح من بليغ لذلك نال الشعراء والخطباء والبلغاء عندهم مكانة كبرى مع نزول القران الكريم

على سيد الخلق صلوات الله عليه وسلم سيأخذ تعليم اللغة مكانة عظيمة

وسيكون ذلك وسيلة لبلوغ غاية المقدسة جوهرها قراءة النص القرآني وفهمه وسكون نشأه العلوم اللغوية المختلفة نحو وصرف ومعجمية وبلاغة الدليل الاوضح على مكانة تعليم اللغة عندهم وخاصة وان العربية التي العامل المادي لتعاليم الدين الحنيف وهذا الدين لم يكن موجها للعرب وحدهم فمن هنا كان الحرص على تعليم اللغة للوافدين الى هذا الدين الجديد ايضا.

ان كل نظريات اكتساب اللغة ،ونظريات علاقة اللغة بالفكر نظرية تعليمية بامتياز أمدت الباحثين في الحقل التعليمي بالاليات و الوسائل الاجرائية التي من شأنها تسهيل العملية التعليمية التعليمية

لسان الحالمين و الواهمين بان الحديث بها وحده كافي لتجسيد مكانة اجتماعية وتصور معين للحياة بعيد عن واقعهم لسان الناقمين عن كل ما هو عربي "تشكل الفرانكفونية في بلاد المغرب الغربي جامعا للمنتفعين بلسانهم الفرنسي أيا كانت لغة منتشهم،..... ويوحدهم لدفع مخاطر التعريب"

لسان استثمره قليل من الجزائريين بصورة واعية وظفوه بطريقة نفعية شأنه شأن جميع الألسنة فأضحى عندهم عاملا من عوامل التكامل الحضاري دون الذوبان الكامل في الثقافة التي يجسدها.

ما نستخلصه عن الواقع اللساني في الجزائر في الأخير هو ما أوجده الاستاذ صالح بالعيد في هذا المجال حينما قال "يمكن اجمال الوضع اللغوي في الجزائر كما يلي:

1: اللغات ذات الانتشار الواسع: العميات او الدارجات العربية، وهي متنوعه ولكنها تتحكم الى قواسم المشتركة.

2: اللغات المحلية: الامازيغية بمختلف دياتها ولهجاتها.

3: اللغات الكلاسيكية: العربية الفصيحة واللغة الفرنسية.

وهذه الامثلة يفترض ان تؤدي تباعا وظائف خاصة بها أسستها سياسة لسانية للدولة وتخطيطها الساني الرسمي لكن الملاحظ أن هذا المجال بالذات يعاني في بلادنا خلا بالنظر الى انه لا يعطي اهتمامه المنوط به، في حين ان كل الدول وعت ذلك.

4- إشكالية اللغة الأم *langue maternelle* في ضوء التعدد اللساني في الجزائر:

إننا فحينما نتمعن جيدا في الحالة اللسانية في الجزائر، والتي حاولنا الوقوف على بمظهراتها في الاسطر القليلة السابقة نجد أنفسنا أمام إشكالية معقدة نوعا ما تتمثل أساسا في تحديد اللغة الام ونجد أنفسنا امام اسئلة يحصل نوعا من التناقض والالتباس حين محاولة الإجابة عنها وبالنظر الى حساسية القضية التي تجنح في أغلب الاحيان الى امور عاطفية مرتبطة بالهوية والانتماء أكثر منها عملية علمية، بالنظر الى ان تعريف اللغة الأم في حد ذاته فضفاض وينتابه كثيرا من الغموض نتيجة التباين الكبير الوارد في تعريفه " كان مصاحبا وجهة نظرا ايديولوجية ولذلك تشعب ونال ابحاثا كثيرة خاصة عند الباحثين الغربيين

حيث أجروا دراسات مهمة بغية تحديدها بعد ما أخذت تسميات: اللغة الأم لغة المنشأ، اللغة الوطنية، اللغة لقومية، اللغة الجهوية"

الفصل الأول

تعليمية اللغة: التأسيس و المفاهيم
و الاهتمامات

المبحث الأول: من اللسانيات التطبيقية إلى تعليمية اللغات

لقد احدث ظهور اللسانيات البنوية في مطلع القرن الماضي ثورة على مستوى مناهج البحث اللغوي¹. كانت نتيجتها تحولا جوهريا على مستوى التفكير والمفاهيم. انعكس إيجابا على مختلف العلوم والمعارف ذات الصلة باللغة والبحث فيها . وقد أسهمت هذه النقلة النوعية في إرساء معالم تصور جديد للتعامل مع اللغة في علاقتها مع مختلف المجالات خاصة تعليمها وتعلمها.

وبفضل هذا التحول شرع الباحثون في التخلص شيئا فشيئا من المعايير الفجة التي طالما قيدت البحث اللغوي وأثرت سلبا على عمليات تعليم وتعلم اللغات، وفسح المجال انطلاقا من ذلك إلى الاهتمام بالجانب الوصفي للغة وإطارها السانكروني، وازداد الاهتمام بالمنطوق، والاهتمام بخلق تجانس بيئية وبين المكتوب، وأسس ذلك لظهور معارف تنكئ على اللسانيات وتتفاعل معها، غايتها البحث في الوسائل الأنجح التي تمكن من الاستفادة من اللغة في كافة المستويات وسمح تقاطع اللسانيات مع معارف أخرى من ظهور أنشطة جديدة تمكنت من فرض استقلالها المعرفي رغم ميلادها من رحم اللسانيات. مثل علم النفس اللغوي وعلم الاجتماع اللغوي وغيرها .

وكانت اللسانيات التطبيقية إحدى هذه الأنشطة، كونها مثلت الإطار الأوسع الذي سنعالج في القضايا اللغوية في علاقتها مع مختلف مناحي الحياة، وشرع جيل جديد من الباحثين، في البحث عن الأجوبة الشافية لمشاكل حياتية أساسها اللغة، محاولين تطويرها إن على مستوى الاتصال أو على مستوى التخطيط أو المناحي الاجتماعية أو الاقتصادية وحتى السياسية .

1- يتجلى ذلك بوضوح حيث المقارنة بين مرحلة ما قبل اللسانيات البنوية ومرحلة ما بعدها , حيث تجسد الدرس اللغوي في المرحلة الأولى في النحور المعياري والفيلوجيا والنحو المقارن واللسانيات التاريخية واعتمد كثيرا على الانطباعية والمعيارية وعوامل أخرى خارج اللغة وكان وسيلة لبلوغ غايات أخرى . وذلك عكس المرحلة الثانية التي ستعتمد على الوصفية وتتعامل مع اللغة على أساس أنها نظام "بنية" تدرس غاية في ذاتها .

ونال تعليم اللغات الحظ الأوفر من اهتمام هؤلاء الباحثين والأكيد انه « قد ساعد تطور اللسانيات واستواؤها نظريا ومنهجيا على استفادة تعليم اللغات منها طرقا ومناهج وأثيرت مشكلات خاصة بتعليم اللغات، ووضعت عدة دراسات في هذا المجال من خلال ثلاثة فروع اللسانيات، كاللسانيات العامة التي ثم فيها الاستفادة تدريس المتعلم مفردات المعجم وتركيب الجمل وأصول اللغة وعلى النفس اللغوي الذي يهتم بمسألة الاكتساب اللغوي وآليات التحصيل اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي الذي يدرس مسألة استعمال اللغة وقواعد التواصل، وبعض القضايا اللغوية الناتجة عن البيئة اللغوية كالازدواج اللغوي، وفي هذا أيضا سنسهم اللسانيات في ظهور علم اللغة التطبيقي»¹

إن اللسانيات البنوية رغم تمكنها من بلورة رؤى جديدة على مستوى المنهج والنظرية، إلا أنها أغرقت في تقديم قوالب متعلقة على نفسها، صعب استساغتها بداية²، كونها لم تستثمر خارجا، ولم يتسن لها الانبعاث، لأنها لم تتفتح على الخارج. ورغم أهمية ما قدمته من مفاهيم إلا أنها بقيت محدودة في تأثيرها.

لكن اهتمام مجموعة من المختصين بالبحث في آليات الانتفاع بها مكنها من أن تستثمر بالشكل الأنجع والمفيد، وتشكل انطلاقا من ذلك حقا معرفيا جديدا سيجتهد فيها سيعرف لاحقا باللسانيات التطبيقية التي هي من هنا " علم حديث نسبيا³ يعتمد معطيات البحث اللساني لحل بعض مشاكل الحياة اليومية

1- علي آيت و شان - اللسانيات والديداكتيك - نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلمية إلى المعرفة المدرسية. دار الثقافة الطبعه الاولى-الدار البيضاء 2005ص61

والمهنية وبعض المسائل التي تطرحها فروع معرفية أخرى، وبذلك فانه يمثل القسم النفعي والعلمي من اللسانيات وبناءا عليه توجد اللسانيات التطبيقية ضمن نفس العلاقة التبعية إزاء اللسانيات الخالصة كما هو شأن تقنيات المهندس أو الطبيب بالنسبة إلى معطيات العلوم الأساسية التي تستند نشاطهما¹ إن الاهتمام بالجانب النفعي للغة ومحاولة استثمار الآليات التي جاءت بها اللسانيات البنوية لم تجعل من اللسانيات التطبيقية نشاطات تابعا لها، رغم كونه يدور في فلكها¹. والملاحظ أن اللسانيات التطبيقية رسمت لنفسها خطأ معرفيا أساسيا قاعدته المشكلة، فأصبحت انطلاقا من ذلك علما تقوده المشكلة أكثر من كونه تقوده النظرية، يحاول قدر الإمكان الإجابة على أسئلة جوهرية ترتبط باللغة واستعمالاتها، تعليمها وتعلمها في سياقات وظروف مختلفة، انطلاقا من آليات نظرية يستمدتها من اللسانيات ومعارف أخرى، ترتبط بمجالات أخرى تستعمل فيها اللغة. وأصبحت من هنا تتميز بخاصية التحول المستمر كونها تبحث عن التكيف المستمر مع المستجدات التي تؤثر في استعمالاتها اللغة والفعل التعليمي.

1- علي آيت و شان - اللسانيات والديداكتيك - نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلمية إلى المدرسة ص 61

إن اللسانيات التطبيقية باتخاذها هذا المسار المعرفي ، استطاعت أن تستقطب اهتمام علوم أخرى لذلك فاعل الباحثين يرون أنها علم وسيط يمثل جسرا يربط العلوم التي تعالج النشاط اللغوي الإنساني كعلوم اللغة والنفس والاجتماع والتربية .

ولعل أهم ميدان تجسدت فيه إسهامات اللسانيات التطبيقية هو تعليم اللغات يمكننا القول “منذ البدء إن الجانب التطبيقي للعلم يتبدى في حالتين إحداهما : إخضاع المعطيات العلمية النظرية للتجربة والاختبار، والأخرى : استعمال القوانين والنتائج العلمية في ميادين أخرى من اجل الإفادة منها.

البحث في رسم السياسات اللسانية وآليات التخطيط اللساني وفي هذا التلقي مع السوسيولسانيات الذي يعتبر من أهم المجالات عندها إضافة إلى مجالات أخرى رصدها بعض الباحثين ومنها¹

- علاج عيوب النطق وفي هذا الشأن أيضا تتقاطع مع السيكولسانيات.
- الترجمة الإلية : وترتبط بتجسيد بنك يسمح بتخزين زخم كبير من الألفاظ والمصطلحات التي تسمح بأن تجد لها معادلات مفاهيمية في لغات مختلفة ، وهي في ذلك تتكئ على تقنيات الإعلام الآلي أيضا.
- كتابة المعاجم : انطلاقا من إحصاء وتصنيف قدر كبير من المفردات وجرد مفاهيمها وتخزينها أليا وما يلاحظ من موسوعات الكترونية دليل واضح على ذلك .

1-شارل يوتون- اللسانيات التطبيقية -ترجمة قاسم المقداد-محمد رياض المصري -في الباب الأول والثاني والثالث من

صفحة 9 إلى ص 97

ومن أهم خصائص اللسانيات التطبيقية¹

- نفعيتها أو برجماتيتها: لان ارتباطها بطلب ميتودولوجي جعلها تستغني عن مجالات بحث واسعة للسانيات الوصفيةوأصبح اهتمامها منصبا على تلبية الحاجيات المتزايدة لجمهور أصبحت تهتم أكثر فأكثر باللغات الوظيفية المتخصصة كلفة التجارة والبنوك والطب.
- انتقائيتها: إذ كانت اللسانيات شاملة في مفهومها لأنه تصطلح بالحديث عن اللغة في إطارها العام وفي وظيفتها فان اللسانيات التطبيقية لا يمكن أن تكون إلا انتقائية كونها في خدمة تعليم اللغات .

ولان التعليم مرتبط بالاختيار والانتقاء أصلا .

- حاليته وأنيته: الى وقت قريب جدا استثمرت بحوث اللسانيات التطبيقية في ميدان تعليم اللغات الأجنبية خاصة .
- تقابليتها: منذ تفتنت الميتودولوجيا إلى أهمية دور اللغة الأم في اكتساب اللغات الأجنبية أصبحت لا تغفل بأي حال من الأحوال المشاكل التي تسببها التداخلات والتحويلات اللغوية

تختلف تعليمية اللغة عن غيرها بخاصيتين أساسيتين²

- أولهما: انه لا يوجد نشاط أساسي كموضوع وفي ذلك تختلف جوهريا عن التعليمات الأخرى ،فبتعليمية الكيمياء مثلا تستند على الكيمياء الذي يشكل لها النشاط الأصل أو النشاط الوسيلة.
- ثانيها: إن طريقة تعلم و اكتساب اللغات تختلف عن طرق تعلم و اكتساب معارف الأنشطة الأخرى لأن تعلمها يتصف بالشمولية ،ويتم في نطاق أوسع عكس تعلم الرياضيات.

1-المصطفى بن عبد الله بوشوك تعليم وتعلم اللغة العربي وثقافته ص 40

2-المصطفى بن عبد الله بوشوك تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافته ص 40

ويذكر اغلب الدارسين أن التعليمية هي “دراسة علمية لمحتويات التدريس وطرقه وتقنياته , ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ دراسة تستهدف صياغة مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ دراسة تستهدف صياغة نماذج ونظريات تطبيقية معيارية يقصد بلوغ الأهداف المرجوة ، سواء على

1

المستوى العقلي أو الانفعالي أو الحسي حركي ”

وهذا التعريف في الواقع يمس التعليمية بصورة عامة ، وباختلاف أنشطتها ، إلا أن تعليمية اللغات تكتسي طابعا خاص بالنظر إلى موضوعها والآليات التي تعتمد عليها ، والتي تختلف نسبيا عن تلك المعتمدة في الأنشطة الأخرى والتي تأخذ بعين الاعتبار الطابع المميز لتعلم اللغة وتعليمها وخصوصياتها المختلفة عن طبيعة الأنشطة الأخرى²

1-مجموعه من الباحثين -سلسلة التكوين التربوي 3 ط1 ،مطبعة ص⁶⁵النجاح الجديد ,الدار البيضاء 1995

2-محمد الدريج -التدريس الهادف - ص²⁸

في ظل توفير شروط ذاتية وموضوعية تستحضر تجليات المشروع التعليمي داخل سياقاته الفلسفية والسوسيوثقافية والايامات بالعلم كخاصية من خصائص التحويل البيداغوجي المنسجم والمتوافق مع التحويل الاجتماعي والاقتصادي القائم داخل المجتمع²

ما يمكن استنتاجه هو أن موضوع البحث في التعليمية سيحاول قدر الإمكان الإجابة عن مجموعة من التساؤلات الجوهرية مجتمعة ومتكاملة فيما بينها , أسئلة تختصر العملية التعليمية , وتشكل هاجس المختصين في البحث التعليمي وتتمثل في : من نعلم ؟ ولماذا نعلم ؟ وماذا نعلم وكيف نعلم ؟ فنحاول من خلال الإجابة عليها تحديد المستهدفين من العملية التعليمية من جهة , والأهداف المتوفرة من هذه العملية برمتها من جهة أخرى , وإبراز محتوياتها ونوع المعرفة الواجب تعليمها وتقديم الوسائل النظرية والإجرائية التي تساعد في إيصالها .

1--hachelle -l'annonce cornu et Alain Vergnoux -la didactique en question
éducation -1992-p⁶⁵

2-محمد المباشري -الديداكتيكي ص¹⁸

إن متابعة متفحصة وموضوعية لما تحقق في مجالات التعليم والتعلم في الآونة الأخيرة يبرز بصورة جلية النقلة النوعية التي يعرفها هذا الميدان، والنتائج التي توصل إليها المختصون والباحثون تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن التعليمية والبحوث العلمية المرتبطة بها قد أسهمت بوضوح في تطور مقاربات الفعل التعليمي، ومكنت من التكيف المستمر مع المعطيات الميدانية المختلفة، والأخذ بعين الاعتبار جميع العناصر الفاعلة في العملية التعليمية.

2- الجهد المفاهيمي للتعليمية

إذا كانت التعليمية قد استطاعت اكتساب مشروعيتها العلمية في وقت وجيز، فنظن ذلك بسبب تجديدها لموضوعها من جهة واعتمادها على جهاز مفاهيمي من جهة أخرى رغم أنه ليس من صلبها إذ أن المفاهيم العديدة التي يشتغل عليها الديداكتيك، ليست كلها نابعة من حقله العلمي كاختصاص، وإنما استلهمها الديداكتيون من حقول مرجعية متعددة من منطلق برجماتي فقط، لتفسير خلفيتهم النظرية للوضعيات الديداكتيكية التي تشكل موضوعها الرئيسي^{اللسانيات}

فالتعليمية تنهل وسائلها النظرية والمنهجية والإجرائية من أنشطة متنوعة مثل الفلسفة وعلم الاجتماع التربوي وعلم النفس والعلوم المعرفية والأنشطة العلمية وتعتمد على مفاهيم هذه الأنشطة لتجعلها في خدمة مشروعها الأساسي المتمثل في تحصيل المعرفة واكتسابها.

والملاحظ أن هذه المفاهيم وإن وضعت خصيصاً لخدمة التعليمية إلا أنها ليست جميعها مرتبطة بكافة أنواع التعليمات، فبعضها يشكل قواسم مشتركة بينها، لكن البعض الآخر ينسجم إلا مع تعليمية أنشطة معينة وفيها يلي أهم المفاهيم التي يجتمع حولها جميع أنواع التعليمات.

2-اللسانيات المثلث التعلیمی Triangle didactique :

المعروف أنه إلى وقت ليس بالبعيد، كانت كل الاهتمامات في العملية التعليمية منصبة على ضرورة التحكم في مادة ما لتعليمها فعالية، لكن سرعان ما أثبتت ذلك محدودية، وتيقن جميع المختصين إن نظرة الموضوعية للتعليم وفعاليتها تستوجب الاهتمام بعناصر العملية التعليمية الأساسية، أو ما سيطلق عليها بالأقطاب الثلاثة (المعلم، المتعلم، المعرفة).

1 - محمد المباشري - الحطاب الديداكتيكي - ص 31

والتي ستعرف بعدها بالمثلث التعليمي، لأن ذلك وحده كفيل بالوصول بالعملية التعليمية الى نتائج فعالة
إن التكفل الجدي بالعملية التعليمية يمر عبر الاهتمام بالعلاقات والتفاعلات التي تنسجها هذه الأقطاب
فيما بينها ، لأن ذلك هو المجسد الفعلي للوضعيات التعليمية المختلفة التي هي الموضوع الأساسي
للتعليمية لقد تأكد للجميع أن فهم هذه العلاقات يساهم إلى حد بعيد في تقديم العديد من الإجابات عن أسئلة
كثيرة طالما أُرقت المهتمين بالحقل التعليمي .

إن كل قطب من هذه الأقطاب في علقته مع الأقطاب الأخرى يحيل إلى وضعية تعليمية ,شكلت
جوهر اهتمامات التعليمي ,وأصبح من الضروري على كل باحث في هذا الميدان إن ينطلق منها ;لأن
فهم طبيعة هذه العلاقات وخصوصيتها هو الذي يسمح بالوصول إلى نتائج ايجابية من شأنها ان ترفع من
مرودية العملية التعليمية برمتها وتجعلها أكثر نجاعة ،ثم انه انطلاقا من هذا المثلث سنتنتج مجموعة من
المفاهيم التي ستسهم في إثراء بحوث التعليمية

إن هذا المثلث يضعنا إمام مجموعة من التفاعلات ,وهي تفاعلات تعكس ثلاث علاقات على واحدة
منها تحيل على وضعي ديداكتيكية:

- علاقة المدرس والمتعلم :العقد الديداكتيكي
- علاقة المتعلم والمعرفة :التمثلات
- علاقة المدرس والمعرفة :العقد الديداكتيكي¹

وما يجب الإشارة إليه أن هذه العلاقات تحدد طبيعتها سلفا ،أن في المنهاج أو المحتوى أو المضامين ،
فلا يمكن بأي حال من الأحوال ان تعتمد بطريقة عشوائية ان اعتبارية ; بل يجب أن تكون محددة المعالم
بالنظر إلى ملمح المتعلم التي تطمح إلى الوصول إليه والسياسة التعليمية التي رسمت للوصول إلى ذلك
مسبقا.

1-علي آيت و شان –اللسانيات والديداكتيك- ص 24

ومنه يمكن القول ".....إن التحويل البيداغوجي التعليمي على مستوى المثلث الديداكتيكي، من حيث الأدوار التي يفترض ان يلعبها كل قطب من الأقطاب الثلاثة، لا تعود بالدرجة الأولى لخيارات مجتمعية وسياسية، مادام ان الفعل التعليمي انعكاس مباشر للخطاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بل يمكن القول إن الأدوار الممنوحة لأقطاب العملية التعليمية محسومة بشكل مسبق من طرف القرار الداخلى للمجتمع¹

ما تجدر الإشارة إليه هو ان بعض المختصين تحفظ على اختزال الفعل التعليمي في الأقطاب السالفة الذكر، ورأى انه من الواجب إضافة عنصر آخر مهما ويتمثل في الوسط التعليمي، بالنظر إلى انه يكتسي الاهمية البالغة التي لا ينبغي تجاهلها لان لكل وسط معطياته التي تجعله متفردا، وبالتالي من غير المنطقي وضع تصور عام للعملية التعليمية، دون الاخذ بعين الاعتبار كل وسط وخصوصياته على حدة.

2-2 العقد التعليمي Contract didactique :

إن علاقة المعلم بالمتعلم هي أساس العلاقات البيداغوجية، ورغم انها كانت تثار في سباقات الفعل التعليمي إلا أنها لم تكن تستأثر بالقدر الكافي من الاهتمام، وكان الطرفان يغيبان في أهميتهما لصالح المعرفة والتركيز عليها على حسابهما مع التعليمية ستصبح هذه العلاقة إحدى مرتكزات العملية التعليمية، وواحدة من أهم الوضعيات التعليمية التي سيهتم بها. وسترتبط هذه العلاقة بما سيصطلح عليه بالعقد التعليمي الذي سيصبح مفهوما مركزيا للتعليمية وسيسمح هذا العقد المعنوي بالبحث الدائم عن الآليات التي تسمح بالالتزام به وتجسيد نتاجه واقعا بما يسمح والوصول إلى نتائج مرضية للطرفين.

في معناه العام يحاول العقد التعليمي وصف التفاعلات الواعية او غير واعية بين المعلم والمتعلم فيبرر سلوكات وتصرفات المعلم المنتظرة من قبل تلاميذه وسلوكيات المتعلمين المنتظرة من قبل المعلم كذا علاقة المعلم والمتعلم مع المعرفة المتوخى من التعليم. إن المتعلم تبعا لذلك يجب إن يدمج في مشروع المعلم وعليه انطلاقا من ذلك ان يوفر جميع الظروف المناسبة للقيام بعملية التعليم وتجسيد غايته وتقييمه ونجاحه.

1-محمد مباشري-الخطاب الديداكتيكي، ص23

والتي ستكون غاية المعلمين أن هذه المعارف قد تكون متذبذبة او غامضة في أذهانهم لكن الأكيد انهم يمتلكونها وبالتالي يصبح ضروريا أخذها بعين الاعتبار في كل عملية تعليمية .

ان التركيز في التعليمية على التمثلات أو التصورات تصحيح لنظرة خاطئة كانت في أذهان المعلمين سابقا ،كانت تظن أن المتعلم لا يملك أي تصورات أو تمثلات مسبقة عن المعارف وبصدد اكتسابها إن التمثل هو “الكيفية التي يوظف بها الفرد معارفه السابقة لمواجهة مشكل معين في وضعية معينة وبالتالي فهي منظومة معرفية تسمح للفرد بتفسير الظواهر ومواجهة المشاكل التي يصطدم بها في محيطه”¹

إن هذا المفهوم يعتبر أن ذهن المتعلم لا يكون خاليا قبل تعلمه لمعارف جديدة ،بل غالبا ما تكون تصورات مسبقة وألوية عنها ،تسمح له بفهمها بطريقة الخاصة .

الأكيد إن أن الذين أخذوا بالتصورات أو التمثلات في العملية التعليمية ،اقتنعوا بها يدع مجالا للشك عندهم أن هذه تشكل دافعا إيجابيا في العملية التعليمية ،كونها ستسهم في تحديد الرصيد المعرفي الموجود عند المتعلمين وبالتالي البناء عليها في تحديد الأهداف التي يتوخوها أثناء تحضير دروسهم الأمر الذي يكفل بهم النتائج الجيدة والتعليم الفعال .

2-4-النقل أو التحويل التعليمي Transposition didactique :

إن علاقة المعلم بالمعرفة بدورها أضحت معادلا أساسيا في هذه المعادلة الثلاثية الأطراف ،وصار من المستحيل تجاهلها ،لما لها من أهمية هي أيضا .فالمعرفة الواجب تبليغها وتعليمها يحدد حجمها في البرامج مسبقا ،وعلى المعلم أن يكيف معارفه التي سيقدمها للمتعلمين تبعاً لما هو محدد سلفا ،ووقف طاقاتهم وإمكانيات استيعابهم ،وانطلاقا من الاختيارات المنهجية والأهداف المتوخات ،وكنتيجة للعلاقة بين هذين القطبين وتفاعلها تشرى التعليمية بمفهوم رئيسي آخر هو ما يعرف بالنقل أو التحويل التعليمي.

يحتل هذا المفهوم مع المفهوم السابق (التمثل أو التصور) مكانا مركزيا في حقل التعليمية ويعد مصطلح “النقل التعليمي” من أقدم المصطلحات استعمالا في هذا الحقل تركز التعليمية على هذا المفهوم الذي هو الفعل الذي بفضلله يتم تحويل المعرفة التعليمية المرجعية أو ما يصطلح عليه بمعرفة العالم إلى معرفة تعليمية يمكن أن يمكن أن تعلم إلى متعلمين أو تكييفيا حسب طاقاتهم وخصوصياتهم .

1-علي آيت أوشان، اللسانيات والديداكتيك ،ص30

فهو مفهوم جوهرية إعادة صياغة المعرفة الخام، معرفة العالم إلى معرفة للتعليم والاكتمال لتصبح

منسجمة مع مستوى تعليمي معين بفضل وسائل إجرائية تؤسس وتخطط لهذا التحول.

إن النقل التعليمي يلزم المعلم الذي يبحث عن المعارف العلمية المرجعية لانجاز دروسه وتحضيرها بضرورة الأخذ بعين الاعتبار توجهات السياسة التعليمية والبرامج الواجب تعليمها، لجعلها كيفية منسجمة مع طاقات تلاميذه والأهداف التعليمية المتوخاة.

والمتتبع لأعمال بعض الباحثين في هذا الميدان يجد أنهم فرقوا بين أربعة أنواع من المعارف أثناء حديثهم عن التحويل التعليمي.¹

المعرفة العلمية، المعرفة الواجب تعليمها، المعرفة المدرسية، المعرفة التعليمية .

1-المعرفة العلمية:وهي المعرفة المرجعية، المعرفة الخام والمعرفة الأكاديمية التي تجسد الخصائص العلمية المحضة لكل نشاط على حدة، وهي معرفة معقدة يصعب لغير المختصين فهمها واستيعابها وتمثلها .

2-المعرفة الواجب تعليمها: وهي المعرفة التي تجسد انطلاقا من السياسة التعليمية المراد تطبيقها في المناهج والبرامج، وهي معرفة مأخوذة أصلا من المعرفة لكن في صور تنسجم فيها مع الفعل التعليمي أو العملية التعليمية .

3-المعرفة المدرسية: وهي المعرفة التي يعلمها المعلم لتعليمه مباشرة، المجسدة في الكتب المدرسية ومحتوياتها، والمرتبطة بمختلف المستويات التعليمية .

4-المعرفة التعليمية: وهي المعرفة التي يكتسبها المتعلم، وهي جوهر العلاقة بين المعلم والمتعلم، والتي تمثل غاية العقد التعليمي باختصار هي آخر حلقة في عملية النقل التعليمي وغايته الأساسية .

1-ينظر في المراجع الآتية :

-محمد لمباشرى -الخطاب الديدانكتيكي بالمدرسة الأساسية بين التصور والممارسة-ص36.31

-علي أي أوشان -اللسانيات والديدانكتيكي.

تبقى هذه الحالات عالقة طالما لم يعتمد لحلها سياسة وتخطيط لساني يأخذ بالحسبان الآخر ،الذي يرى في دفاعه عن لسانه ،دفاعه عن هويته ،عن مكوناته الشخصية وخوفه من فقدها والذوبان في الآخر.

ما ينبغي أن نشير إليه في الأخير هو أن الطرح السليم لقضية التعدد اللساني في المجتمعات المركبة يجب أن ينع دوما إلى الذاتية والارتجالية ،بل يجب أن ينظر إليه دوما نظرة موضوعية يعالج فيها من منطلق علمي منهجي وتخطيط لساني يأخذ في الحسبان مكونات أمه ما ،بجميع أطرافها قصد خلق انسجام وتوافق يسمح للفرد أن يجد ذاته الخاصة في الذات الجمعية ،وخلق آليات تسمح بالتفتح على السنة الغير والاستفادة منها دون التعامل معها انطلاقا من مركب نقص أو الذوبان في ثقافتها.

المبحث الثالث: تعليمية اللغات: الأصول، الاهتمامات، طرق تعليم اللغات:

1- الأصول المرجعية لتعليمية اللغات:

إذا كانت العناصر التي ذكرناها سابقاً تمثل القواسم المشتركة بين جميع أنواع التعليمية فإن التعليمية اللغات خصوصياتها التي تجعلها متفردة حيث البحث فيها، بالنظر إلى طبيعة البحث في اللغة من جهة، و تعلمها من جهة أخرى.

إن تعليمية اللغات تستمد خلفياتها المعرفية من منابع مختلفة تنهل منها مجتمعة آليات بحثها و لعل أهمها:

1-1- اللسانيات و البحوث المرتبطة بها: باعتبارها المجال المعرفي الأساسي الذي تستمد منه تعليمية اللغات بحوثها. و الميدان الشديد الصلة باهتماماتها التعليمية. انطلاقاً من الاهتمام بالمستويات اللسانية المختلفة، لذلك كله نجد أن اهتمام الباحث اللساني من حيث طريقة مقارنته للغة و الغايات المرجوة لذلك. و هو في ذلك " يختلف من حيث الهدف و الموضوع و المنهج عما يشغل بال اللساني، و لكن العلاقة بين الحلقين ظلت وطيدة بشكل يصعب معه الفصل بين أسئلة هذا الطرف أو ذلك. فثمة مراوحة بين البحث اللساني و الديدانكتيكي، أو بمعنى آخر بين التساؤل عن تعليمها و تعلمها.¹

2-1- الدراسات السيكولسانية: كونها تبحث عن القضايا الأساسية المتعلقة بعمليات اكتساب و تعلم و تعليم اللغة، لذلك تستند تعليمية اللغات عليها، كونها تقدم لها الآليات و الوسائل الإجرائية التي تكمنها من البحث في الوضعيات التعليمية المختلفة. و الواقع أن سيكولوجيا التعلم تأخذ حصة الأسد في هذه البحوث بالنظر على اهتماماتها المستمرة لقضايا الاكتساب و التعليم و الاستيعاب و محاولة تكييفها مع معطيات سيكولوجية فردية أو جماعية. إذ " لا يخفي على كل متهم أو ممارس، الدور الحاسم الذي تلعبه الدوافع و البواعث في التعلم و هو مجال خصب للدراسات السيكتربوية و السيكلسانية، يهدف إلى حل مشاكل أساسية في اكتساب الملكات اللغوية."²

1- عبد اللطيف الغرابي، خطاب السانويات في التربية، حول الأصول اللسانية لديكتاتيك اللغات، مجلة ديدانكتيكا

العدد 3 ديسمبر 1992، ص40

2- المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم و تعلم اللغة العربية و ثقافتها، ص42

3-1- البحوث السوسiolسانية: انطلاقاً من تقديم هذه البحوث التوصيف المناسب للغة و علاقاتها بالمجتمع في أحاديثها و تنوعها، فإن تعليمية اللغات تجد فيها المعين و المنبع الأساسي لكيفية التعامل مع اللغة انطلاقاً من وسط ما أو مجموعة لغوية ما، أو كيفية معالجة علاقات مجموعات لغوية صغيرة في مجتمع واحد، و تفاعلاتها بطريقة تسمح بالانسجام داخل المجتمع الواحد المتعدد اللغات.

4-1- البحوث التربوية أو البيداغوجية: إن هذه البحوث هي التي اضطلعت بمهمة البحث في الميدان التعليمي بكافة اتجاهاته و ذلك منذ مدة بعيدة، فكل ما له علاقة بميدان التعليم و التعلم إنما كان يثار أو يعالج ضمن هذه البحوث، لذلك فتعليمية اللغات تستند اسناداً كلياً على هذه البحوث، و الأكثر من ذلك تشكل بحوث التعليم امتداداً لها بالنظر إلى أنه من الصعوبة بما كان وضع حدود بين ما هو تعليمي ديداكتيكي و ما هو بيداغوجي.

مع تطور بحوث التعليمية أصبح التعامل مع اللغة على أنها سلوك يتجسد في الكلام و يكتسب عن طريق الاستعمال المتواصل، و انطلاقاً من ذلك تغير التعامل مع اللغة و لم تصبح المعايير و القواعد هي الأساس، بل أصبح الهدف هو التحكم في الآليات اللغوية، و قد تزامن هذا التحول مع الانتقال من الدراسات المعيارية للغة، إلى الدراسات الوصفية لها، و سيظهر جلياً في بداية ذلك تأثر تعليمية اللغات باللسانيات البنوية، و سيؤسس ذلك لتصور جديد للعملية التعليمية برمتها، إذ ستعرف البحوث في هذا المجال تطوراً كبيراً و نقلة نوعية، بالنظر إلى أن الدراسات اللسانية نفسها ستتطور و تفتح على مجالات أخرى الأمر الذي سيؤثر إيجاباً على الفعل التعليمي.

2- اهتمامات تعليمية اللغات:

يوجز المختصون في تعليمية اللغات اهتماماتها في ثلاثة مجالات أساسية، يشكل كل واحد مجالاً محورياً في عملية تعليم اللغات و اكتسابها، و تشكل مجتمعة تفاعلات المثلث التعليمي، و تجسد علاقاتها الأرضية الأساسية للعقد التعليمي، كما تمثل هذه المجالات في خصوصياتها طبيعة الوضعيات التعليمية التي هي الموضوع المركزي لتعليمية اللغات، و هذه المجالات هي:

2-1- التركيز على اللغة أو اللغات كموضوع للتعليم و التعلم: انطلاقاً من تحديد اللغة أو اللغات التي يراد تعلمها أو تعليمها، و الذي تضطلع به السوسiolسانية في سياق ما يعرف بالسياسة اللسانية و التخطيط اللساني، أما تعليمية اللغات فيوكل لها البحث في الآليات التي تسمح بتجسيد ذلك تعليمياً، بطرق ينعكس بفضلها في أرض الواقع.

2-2- دور المعلم في الدفع بعملية تعليم اللغة و ابراز المناهج التعليمية: التعليمية التي يستند عليها و ينهاجها للوصول إلى نتائج فعالة. و هي في ذلك تعطي أهمية لجانب التكوين و التأطير، التي وحدها تهيء المعلم الفعال الذي يفع على عاتقه العبء الأكبر كونه الذي سيرتجم الأهداف و الغايات فعلياً، و يساهم بالقسط الأوفر في تهيئة المتعلم المنشود. لكن هذا المعلم لا يساعده في بلوغ غاياته المنشودة إلا مناهج معدة سلفاً و بصورة عملية يتكئ عليها و يعتمد عليها كمرجع أساسي يحدد بفضلها المجال الذي يتحرك فيه. و انطلاقاً منها يبرم العقد الذي يربطه بالمتعلم و يعمل كل ما في وسعه على احترامه و تنفيذه بصورة تجعل الفعل التعليمي ناجعاً و فعالاً.

إن المتصفح في البحوث التربوية يجد أن طرقاً كثيرة اعتمدت في ميدان تعليم اللغات، كان لكل منها خلفياتها الفكرية و أساسها المعرفية ، التي جعلتها تتفرد عن غيرها، في آلياتها و أهدافها و غاياتها. و من أهم هذه الطرق:

3-1- طريقة النحو و الترجمة Méthode de la grammaire et de la traduction:

لقد كانت هذه الطريقة المعروفة بالتقليدية traditionnelle أول و أقدم طريقة تعتمد في تعليم اللغات أصلية كانت أم أجنبية، و لقد واكبت حينها توجهها فكرياً، حيث كان علم النحو مركز استقطاب علماء و باحثي تلك الفترة، لذلك سيستند عليه في تعليم اللغات، و ذلك بالتركيز على القواعد اللغوية و حفظها، و أخذها كنماذج يجب أن يحتذى بها بأن القراءة أو في الكتابة و اعتمادها للتمييز بين اللغة الصحيحة و الخاطئة. و لقد كان هم المعامرين أن يحفظ المتعلمون هذه القواعد، حتى يتسنى لهم استثمارها في قراءاتهم و كتاباتهم، و الملاحظ أن هذه الطريقة قد أهملت جوانب مهمة، خاصة استخدام اللغة الشفوي، في حين ركزت على تعليم اللغة المعيارية التي تستند أساساً على المكتوب. كما أنها لم تراع أي أسس سيكولوجية و لم تستند على خلفيات معرفية واضحة.

3-2- الطريقة المباشرة Méthode directe:

لقد كان للتحويلات المعرفية و العلمية و المنهجية التي حدثت مع بداية القرن الماضي الأثر البالغ على الدرس اللغوي و البحث فيه، الأمر الذي سيؤثر أيضاً على عمليتي تعليم و تعلم اللغات. و لعل أهم مظاهر هذا التحول هو ظهور اللسانيات البنوية و تطور علم النفس السلوكي و النقلة النوعية التي ستعرفها علوم التكنولوجيا و الاتصال. انطلاقاً من ذلك سيبدأ المختصون في ميدان التعليم و منها طريقة إعادة النظر في الطرق التقليدية المعتمدة سابقاً في ميدان التعليم و منها طريقة النحو و الترجمة المذكورة سالفاً و التي كانت أكثر شيوعاً. كما سيبدأون الاهتمام بالنظام اللغوي برمته و على كافة مستوياته آخذين بعين الاعتبار الأسس النفسية للمتعلم، و الوضعيات المختلفة للتواصل.

و من أهم خصائص هذه الطريقة، تركيزها على تعليم المفردات المتداولة و التدرج فيها من تلك البسيطة العادية التي تحمل معان حسية إلى مفردات أكثر تجريدًا، الاعتماد على النحو و قواعده لكن بطريقة عفوية تختلف عن طريقة اعتماده في الطريقة التقليدية، التركيز على الجانب الشفوي للغة، و النطق السليم و استثمار كافة عناصر اللغة و مستوياتها، بدءًا بالصوت ثم المقطع ثم الكلمات ثم الجملة و هكذا، و الاعتماد على المقاربة الشاملة للمعنى.

و الجدير بالذكر أن مع تطبيق هذه الطريقة بدأ الاهتمام باستعمال بعض الوسائل السمعية البصرية، التي كانت بسيطة في بدايتها، إضافة إلى اعتماد تقنيات الصور و الرسومات، كل ذلك لوضع المتعلم في وضعيات تسمح له بالحديث باللغة الهدف و ممارستها. لكن محدودة تأثيرها في المراحل الأولى من تعليم اللغة الأجنبية، جعل الكثير يعيد النظر فيها هي أيضًا.

مثل جميع الطرق التعليمية ارتبط ظهور هذه الطريقة بمجموعة من الحاجيات المستجدة و التي فرضتها مجموعة من الظروف التي واكبت بلورتها، خاصة مع بداية القرن العشرين، الذي سيشهد تحولاً سريعاً في الميدان الفكري و الثقافي، و إذا لم تكن هذه الطريقة قد وقفت في الإجابة عن جميع الأسئلة المطروحة في مجال تعليم اللغات، فإنه يحسب لها على الأقل أنها وضعت اللبنة الأولى، و الأسس الأولى التي ستسمح بتطوير هذا الميدان.

3-3- طريقة القراءة Méthode de la lecture:

شكلت هذه الطريقة امتداداً للطرق التي جاءت متأثرة بالمنهج النبوي، و التي حاولت قدر الإمكان الابتعاد عن الطريقة التقليدية التي اعتمدت على النحو و الترجمة. و لقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها مقارنة مع سابقتها على الأقل في الظرف التي ظهرت فيه و رغبة في إتاحة فرصة أكبر للمتعلمين في الاطلاع على اللغات الأجنبية و خصوصاً مصادرها المكتوبة، ظهرت في الثلاثينات و الأربعينات من هذا القرن. في الولايات المتحدة في بادئ المر ثم انتشرت بعد ذلك انتشاراً واسعاً في أنحاء العالم.*

لقد اهتمت هذه الطريقة بمظهري القراءة (الصامتة و الجهرية)، و اعتمدت كدعامتين متكاملتين، بحيث تجعل بالأولى المتعلم ينجس مع جو النص المقروء، ليعيشه بالقراءة الجهرية و يتفاعل معه و بالتالي مع اللغة المراد تعلمها أكثر.

3-4- طريقة السمعية الشفوية Méthode audio orale:

لقد استفادت هذه الطريقة أكثر من سابقتها من تقاطع درس اللساني مع الدراسات البنوية، و التقاء علم النفس مع المناهج السلوكية. لإضافة إلى اعتماد التقنيات العلمية الجديدة، الأمر الذي سيسمح بإعادة

النظر في طريقة تعليم اللغات الأجنبية، و ذلك بالاستفادة من كل هذه الروافد العلمية و المنهجية المذكورة سلفاً.

لذلك يتفق أغلب الدراسين في هذا الميدان على أن هذه الطريقة إنما تبنى على ثلاثة مبادئ أساسية يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ: اللغة، أولاً و قبل كل شيء هي التكلم و التعود على النطق.

ب: السمع قبل الكلام، و الكلام قبل القراءة و القراءة قبل الكتابة.

ج: اللغة هي ما يتكلم به الناطق الأصلي.

و اعتماداً على هذا الأساس تستعمل البيئات المستخرجة من الاستعمال اللغوي نفسه لاستقراء و استنباط القواعد عوض عرض الضوابط النحوية الجاهزة بطريقة تلقينية إلقائية، تليها تمارين قد لا تفيد في شيء نمو الملكة اللغوية.

نستنتج من هذه الخصائص أنها كانت على النقيض من الطريقة التقليدية، و أنها أكثر الطرق الحديثة تجسيدا للتعامل مع اللغة في جانبها البنيوي النظامي و بذلك كانت الطريقة الفعلية الأولى التي ستتجاوز حقيقة الجانب المعياري للغة.

مع كل ذلك سيعترف الجميع لهذه الطريقة بأنها ستكون الأولى التي سيتجسد معها تعدد الأنشطة و تقاطعها في مجال تعليم اللغات الأجنبية، إضافة لذلك ستكون أول طريقة تبدأ اعتماد الوسائل السمعية البصرية.

3-5- طريقة التعليم بالوسائل السمعية البصرية Méthode audio visuelle:

إن الوتيرة السريعة التي طبعت الاختراعات العلمية و التكنولوجية، خاصةً على مستوى الوسائل السمعية البصرية كان لها الأثر الإيجابي الواضح على العملية التعليمية. حيث أن الباحثين في ميدان التعليم سيستثمرون هذه الإختراعات و سيوظفونها، كوسائل تربوية تسمح بدفع الفعل التعليمي.

لقد كان للأشرطة المسموعة و المرئية الدور الإيجابي و الفعال على المتعلمين كونها كانت تخرجهم عن تلك الطرق الروتينية التي طالما ما جعلت الملل يمنعمهم من التركيز، فاقتران هذه الوسائل و مضامينها بالتشويق الدائم ساهمت بصورة فعالة في جذب المتعلم، و جعلته راغباً أكثر في تعلم اللغات و بشغف، خاصة و أنها كانت تمكنه من التفتح على عوالم جديدة لم يكن قد تعودها، كما حركت فضوله المستمر الذي هو أساس العملية التعليمية.

3-6- الطريقة التواصلية Méthode communicative:

لقد شكل وضع هذه الطريقة تحولاً نوعياً في ميدان تعليم اللغات، بالنظر إلى أنها ستقدم تصورات جديدة، انطلاقاً من النقلة المعرفية النوعية التي ستعرفها الدراسات اللغوية و مناهجها و التي تجسدت في ظهور نظريات جديدة، مثل نظرية القواعد التوليدية التحويلية، و تطور نظريات التعلم، و الدراسات السوسiolسانية و الدراسات السيكولسانية.

نتيجة لكل ذلك سيحدث تغير جوهري في طريقة تعليم اللغات، مقارنة مع ما كان معتمداً من قبل، و يصبح التركيز على عملية التواصل هو الأساس.

أما التغيير الذي حدث هذه المرة، فهو تغير استراتيجي إذا جاز التغيير في النظرة إلى اللغة ذاتها و الطريقة التي نصفها بها أولاً و في النظرة إلى أساليب التعلم و التعليم و الأسس التي تحكمها ثانياً و في محتوى التعلم و التعليم ثالثاً هذا التغيير الذي حصل لم يأت بل جاء نتيجة التطورات المستجدة في مجالات عديدة.

الملاحظ أن هذه الطريقة ستركز أساساً على مجموعة من الدعائم التي لا غنى لها عنها، و التي منها: تركيزها على الملكة اللغوية الاجتماعية من جهة، و عرضها للمادة اللغوية على أساس التدرج الوظيفي التواصلية و ليس على أساس التدرج اللغوي فقط كما كان معتمداً في الطرق التي ظهرت قبلها.

ما يجب به هو أن هذه الطريقة كغيرها من الطرق السابقة سترتبط بتحويلات سياسية و فكرية و ثقافية هامة ستبدأ في التبلور بدءاً من السبعينيات " لعل اهمها اتساع ساحة دول المجموعة الأوروبية، و الحاجة الملحة تبعاً لذلك إلى تعلم اللغات الأجنبية، التي تسمح بتسهيل عملية الانفتاح و التكامل اقتصادياً و سياسياً و فكرياً". ثم إنه و رغم تأثير هذه الطريقة الكبير في ميدان تعليم اللغات إلا أنها ستبقى قاصرة في نظر البعض و ستنقد كغيرها من قبل بعض المختصين الذين رأوا أنها لم تأخذ بعين الاعتبار جوانب أساسية في عمليتي التعليم و التعلم.

إن استمرارية البحث في هذا المجال دليل على حيوية العملية التعليمية من جهة و حيوية البحوث المرتبطة بها من جهة أخرى، و دليل آخر على أن العملية التعليمية في حراك مستمر، الأمر الذي يستوجب معه التفكير المتواصل في تجديد الآليات و الأسس و المحتويات للتكيف مع المستجدات التي تفرضها التحويلات على جميع الأصعدة إن سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية أو معرفية. و الأهم في كل هذا أن هذه البحوث هي التي أصبحت جوهر بحوث و مواضيع تعليمية اللغات.

الفصل الثاني
التعليمية بين الأحادية و التعدد
و الهوية

المبحث الأول: اللسان الأحادية و التعدد و الثنائية.

توطئة

لقد اعتبرت أحادية اللسان في بعض المجتمعات إلى وقت قريب الحالة الطبيعية التي يجب أن تسود داخلها أما التعدد اللساني فنظر إليه دوما على أنه حالة اختلال. الأمر الذي خلق نوعا منها حالات من الاحتقان في هذه المجتمعات بالنظر إلى أن بعض المجموعات اللغوية رأت في اعتماد الدول أو المجتمعات التي كانت تعيش فيها لسانا واحدا، ضربا من التهميش لها ومساسا بهويتها والأكثر من ذلك عدم الاعتراف بوجودها أصلا. والمجتمعات الكثيرة التي لم تعالج هذه الظاهرة بطرق تضمن التعايش بين المجموعات داخل المجتمع الواحد، رأت وحدتها وتماسكها الاجتماعي مهددا بالانهيار إن لم ينهار بعضها.

انطلاقا من ذلك صارت قضيتها الأحادية والتعدد اللساني قضيتين منفصلتين في الدراسات المعاصرة ولاسيما في مجال السوسiolسانيات، وأصبح الاهتمام بهما كثيرا، خاصة في مجال وضع السياسات اللغوية والتخطيط اللساني وقد سبق الإشارة الى ذلك، وأصبح الباحثون يولونهما اهتماما كبيرا، انطلاقا من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية التي بدأ العلم يعيشها بدءا من بداية القرن الماضي وحتى الآن.¹

1-Voir :Christian Boylon -Sociolinguique-P¹⁴⁶

وواقع ان الخوض في هذين القضيتين، أصبح أكثر من ضروري في وقتنا الحالي، لأن أنشطة عديدة صارت تهتم بذلك، خاصة نشاط تعليمية اللغات .

إن قراءة بسيطة فيما سبق تجعلنا نستنتج أن الدول الأحادية اللسان قليلة جدا في العلم، وإظهار التعدد اللساني هي الطاغية، لدرجة أن البعض يرى أنها الظاهرة الأصل، ولو أن البعض الآخر له رأي مخالف¹ لذلك تماما.

إن الدول الأحادية اللسان لا تمثل إلا نسبة ضئيلة مقارنة مع الدول المتعددة اللسان وعلى العكس مما يظن البعض فإن دولا عربية كثيرة تعيش تعددية لسانية على غرار منطقة المغرب العربي وسوريا والعراق وغيرها. رغم أن العربية هي اللغة الوطنية واللسان الرسمي الوحيد لأغلبية هذه الدول .

يجب أن نذكر أيضا أن الحديث عن الأحادية اللسانية يتجاذبه جانبان أساسيان، جانب اجتماعي وهو الذي يبناه سلفا، لكن قاعدته فردية لأن وصف الأحادي اللسان هو وصف للفرد الذي يتحكم في لسان واحد، والأحادية اللسانية هي حالة يتفاعل فيها الفرد مع مجتمعه بعبارة أخرى هي الحالة التي يوجد عليها الفرد في مجتمع لساني معين، بحيث يقتصر استعماله للسان أخرى هي الحلة التي يوجد عليها الفرد في مجتمع لساني معين، بحيث يقتصر استعماله للسان واحد حينما يتعلق الأمر بحاجياته اليومية، وتواصله مع غيره من أبناء مجتمعه

ما ينبغي الإشارة إليه هو ان بعض الدول تعيش أحادية لسانية عادية لكن بعضها الآخر يحرص على أن يبقى أحاديا رغم التعدد اللساني الموجود فيه .

لكنه رغم ذلك فأغلبية دول العالم تحاور استثمار جميع الألسنة الموجودة في مجتمعاتنا، حفاظا على وحدتها وتماسكها

1-محمد أورغواي، التعدد اللغوي إنعكاسه على النسيج الاجتماعي-ص09

والأكثر من ذلك تحرص على التفتح على ألسنة أخرى ،ولذلك لغايات سياسية إقتصادية وسياسية إستراتيجية.

1- بين الثنائية والازدواجية اللسانية et Bilinguisme :diglosie

كثيرة هي البحوث التي عالجت ظاهرة الثنائية ،وكثيرون هم الباحثون الذين وجهوا اهتماما تهم صوبها ،كل من منطلقة الفكري والمعرفي الخاص به ،فتعددت تعريفاتها ¹. إلى درجة التباين بعض الأحيان والمتعهد في هذه التعريفات يجد أن بعضها يركز على قدرة المتكلم ،والبعض الآخر على تمظهرها الاجتماعي .وبناء على ذلك تبلور مظهران لهذه الثنائية مظهر فردي وآخر اجتماعي.

لقد كانت كل الاهتمامات منصبه بداية على الثنائية الفردية ،وكان كل هذه الباحثين محاولة فهم الآليات التي يتم بها تمكن الفرد من التحكم في نظامين لسانيين مختلفين ،لذلك سيكون البحث في هذا المجال شديد الصلة بميدان البيسكولوجيا ليسانيات ،ولم يلتفت إلى العوامل الاجتماعية إلا نادرا ،بل كان الموضوع الأساسي التركيز على مدى قدرة الفرد في اكتساب لسانيين مختلفين وكيف يتم ذلك والعوامل التي تسمح بذلك.

وفي سياق الاهتمام بهذا النوع من الثنائية سيطفو الى السطح مجموعة من الأسئلة ؟هل هو الذي يعرفها ،كلاهما ،فهما ،وكتابة بالقدر نفسه ؟أم أن المهم هو معرفته

1-Jean Yuon Lanchec-psycholinguistique et Pidagogie de la la langues -PUF.PARIS

-1-Edition 1976

لأساسيات لسان آخر غير لسانه الأم ولو بدرجة أقل أو تبعا لذلك ستتبين التعريفات المتعلقة بهذا النوع. والمهم في كل هذا أنها ستتراوح بين القدرة التامة في التحكم في لسان ثان إلى القدرة المحدودة لذلك.

والملاحظ أن هذا الطرح بصورة عامة سرعان ما يبين محدوديته كون المختصين الآن لم يعودوا يهتمون بالبحث في الثنائية اللسانية الفردية، ومن هو الثنائي اللسان، يقدر ما أصبحوا يركزون على الطرق التي تمكن الفرد من التحكم في النظامين وتقديم توصيفات لذلك تبعا لسنه، وظروفه ومحيطه وتفاعله مع غيره، مع التركيز على الجوانب التقنية المحضة.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها اللسانيون، حصرهم لمجموعة من الخصائص التي يستوجب تجسدها في الفرد الثنائي اللسان والتي منها خاصة :

- أن يكون الفرد قادرا على أن ينتج بلسانه الأصل وكذلك بلسان آخر يختاره نمطيا، عبارات وجمل سليمة على المستويين النحوي والدلالي. "فأولئك الذين بقدر متفاوت من النجاح يستطيعون استعمال صوتيات أخرى، ونحو آخر فهم مزدوجوا اللسان¹

- يشترط في الفرد ان يكون مستوى إتقانه للسانيين واحدا لأن ذلك صعب الانجاز لعدم تمكن المتكلم من إتلاك نظاميين من القواعد اللسانية متساويين إنجازا.

- يجب أن يكون اللسانان غير مرتبطين في علاقتهما، ولا تربطهما أي علاقة قرابة، كما هو الحال بين العربية الفصحى والعامية عندنا، بل يجب أن يكونا متباعدين ولا قرابة لسالية بينهما .

1- أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة سعدي ربير، دار الأفاق، الجزائر، ص 146

-الثنائية اللسانية حالة فردية وليست وضعية اجتماعية، إذ تنحصر في مجموعة قليلة من الناس ولا تكون عامة في المجتمع¹.

إن قراءة متفحصة في البحوث التي عالجت هذه الظاهرة تجعلنا نقف على نتيجة مفادها أن الثنائية الفردية بصورة عامة تغني قدرة الفرد على الحديث والتعبير بلسان أجنبي إضافة إلى لسانه الأم، وهي صفة تطلق على الفرد القادر على التحكم في نظامين مختلفين في كافة مستوياتهما: الصوتية والتركيبية والدلالية. فالثنائية اللسانية إذن كانت في نظر الكثيرين من الباحثين خاصية لسانية بها علاقة وطيدة بقدرة الفرد التعبيرية، ومدى استعماله لنظاميين لسانيين مختلفين أو متقاربين وهي بذلك ترتبط بالفرد، بل تجسد في حد ذاتها سلوكا فرديا .

إن الأمر الذي يجب أن نشير إليه في الأخير ونحن نتحدث عن هذه الظاهرة أن الفرد لا يكون ثنائي اللسان بمفرده، ولن يكون ذلك بمحض الصدفة، بل لأن رغبته في التواصل مع غيره هي التي تفرض عليه ذلك. كما أن ذلك الفرد عندما يريد تعلم لسان لن يكون أي لسان لكن ما تقتضيه حاجته، وما يقتضيه استعماله في ظرف أو بيئة ما لذلك وبصورة عامة فإن اللسان الأكثر نفعاً هو اللسان الذي نستعمله داخل المجموعة التي نحن في تواصل دائم معها .

لذلك نقول أن تعلم لسان ما ليس لكونه وسيلة اتصال فقط، بل لأنه لغايات اجتماعية و اقتصادية، ومن ثمة فحينما يتكلم المجتمع على نطاق واسع لسانا ما فإن الظاهرة تصبح اجتماعية، وهي من ذلك ترمز إلى تحديد هوية مجموعة ما انطلاقاً من ذلك يصبح من الصعب الحديث عن الثنائية اللسانية الفردية دون ربطها بالوظيفة الاجتماعية للسان.

1-محمد الأوراعي-التعدد اللغوي- إنعكاساته على السيج الاجتماعي -بتصرف منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية

بالرباط-سلسلة بحوث ودراسات رقم 36 جامعة محمد الخامس المملكة المغربية -ط1-2002-ص48

مع التحولات الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية التي سيعرفها العالم في الفترة المعاصرة ،سيصبح الاهتمام منصبا أكثر على الثنائية الاجتماعية وستتبلور هذه القضية أكثر في سياق الدراسات السوسiolسانية ،حيث سيهتم بها الباحثون اهتماما كبيرا ،وستصبح من القضايا المحورية التي سيتعامل بها ، إنطلاقا من الأهمية التي ستتولى للسياسات اللسانية والتخطيط اللساني ،ودورها في ميدتن السياسية والتعليم خاصة .

ولقد فرق العلماء المختصون خاصة السوسiolسانيين منهم ثلاثة أنواع من الثنائية اللسانية الاجتماعية ،ثنائية أفقية ،ثنائية عمودية ،وثالثة متقابلة ،ثنائية أفقية يتعلق الأمر فيها بتعايش لسانيين رسميين في مجتمع واحد ،على غرار ما يحدث في منطقة الكيبك في كندا ،حيث تتعايش اللغتان الفرنسية والانجليزية ،الذان يمتلكان نفس المكانة في الحياة اليومية لسكان الكيبك.

أما الثنائية العمودية فيكون فيها التنافس بين لسان رسمي ونوع من اللهجات يمتلك قرابة وصلة به، والنماذج على ذلك كثيرة لعل أهمها :ما تعيشه سويسرا ،حيث يعيش اللسان الألماني الذي هو اللسان الرسمي في هذا البلد،حالة من التنافس في أقرب إلى الصراع مع اللهجة السويسرية¹ التي لها صلة قرابة مع اللسان الألماني ،والذي يتحدث بها أغلب سكان سويسرا.

الثنائية اللسانية المتقابلة و التي تتجسد فيها تستعمل مجموعة ما لسانا رسميا وآخر في شكل اللهجة لا علاقة قرابة بينها وبين هذا اللسان الرسمي ،مثل ما يحدث في إسبانيا ،حيث يستعمل سكان منطقة الباسك² اللسان الاسباني واللهجة الباسكية التي لا صلة لها باللسان الرسمي الاسبانية.

1-voir , Henri Boyer -Introduction à la spciolinguistique -p50

2-Christian-Baylon -Sociolinguistique-p148

أما مجموعة أخرى من الباحثين فقد صنفت الثنائية اللسانية الاجتماعية في تمظهرين : تمظهر يجسد ثنائية دون تعايش اجتماعي وثنائية بدون تعايش إ اجتماعي وثنائية بدون تعايش إ اجتماعي .

ومن الأمثلة التي لها علاقة بالتصنيف الأول ، استعمال مجموعة واحدة للسانين أحدهما اللسان الأم والأخر لسان يعتمد لحاجات التواصل التجاري والاقتصادي مثلا . فالأمر لا يتعلق هنا بتعايش لوجود مجموعة واحدة تستعمل نظامين متقاربين عموما. أما الحالة الثانية فهي التي تستعمل فيها مجموعتنا مختلفتان في مجتمع واحد لسانين، أحدهما اللسان الأم لهذه المجموعة ، والأخر لسان للتواصل به مع المجموعة الأخرى التي يعيش معها، وهي بذلك ثنائية لسانية بتعايش اجتماعي

الملاحظ أن مصطلح الثنائية يلتبس مع مصطلح آخر في الثقافة الغربية اللسانية ، ألا وهو مصطلح الازدواجية ، فكل منهما يستعمل مكان الآخر إلا أن البعض يحبذ استعمال مصطلح الازدواجية¹ مكان ما يصطلح عليه بالديغوسيا . وذلك ما سنفعله نحن أيضا .

ترتبط إذن حالات الازدواجية ارتباطا وثيقا بالحالات التي فيها ثنائية لسانية أيضا ، ثم إن نظرة متفحصة في بحوث بعض المختصين حين دراسة هذه الظاهرة ، تجعلنا نستكشف أنها تعلقت إ ما بعامل الصراع أو التعايش بين لسانين .

من الذين ربطوا هذه القضية بالصراع العالم بسيكاري² الذي تحدثت التي عاشتها اليونان لسانيا من خلال صراع حاديين لسان الكتاريغوسيا وهو لسان المثقفين والمتأدبين والعلماء والطبقة الراقية ولسان الديموتيكيهو لسان الأغلبية الشعبية التي تتواصل به وتتعامل به في يومياتها . إن الصراع الذي ظهر سببه ترقية السلطات اليونانية اللسان الأول وترسيمه ودعمه على حساب اللسان الثاني الأمر الذي أحدث إ اختلالا له ردة فعل حادة من قبل الفئات الشعبية اليونانية .

1-ينظر كمال بشر -علم اللغة الاجتماعية -ص177

2-Voir :Henri Boyer -Introduction à la sociolinguistique -p48

مع فرغيسون الأمريكي سيأخذ هذا المصطلح مفهوما آخر يكون أقرب منه إلى التعايش . لذلك سيرى أن الازدواجية تكون في الحالة التي تكون فيها ثنائية لسانية ، بحيث يستعمل في مجتمع الواحد لسان لكن

1/ المتصفح لتاريخ البشرية يجد أنها مرت بمراحل متعددة أسهمت في تشكل أمم و إندمار أخرى ،تألف مجموعات أخرى ،وتلك عوامل تشجع جميعها في ظهور تعدد لساني .فكل حضارة كانت تظهر كانت تحاول صهر الأقوام الأخرى ،و إذابتهم فيها ،سواء أعلق الأمر بالمصريين أو اليونانيين أو الفرس أو الرومانيين أو غيرهم وفي ذلك نواة أولى لظهور تعددية لسانية لأن الحقائق التاريخية تفيد بما لا يدع مجالاً للشك أن اللسان كان هو الحامل والقاعدة الأساسية لهذه الحضارات وكان لزاماً على الأمم المستبعدة استعمال لسان هذه الحضارات ولو ظاهرياً.

2/ إن الحملات العسكرية والاستعمارية أيضاً كانت أساسياً في ظهور هذه التعددية ،حملات قديمة كانت أم حديثة ،والدليل الواضح ما تعيشه دول إفريقيا وأمريكا اللاتينية ،وآسيا نتيجة لذلك فالسنة المستعمر مازالت متغلغلة حتى الآن في الدول التي عانت منه ،وشكلت رواسب فكرية وثقافية عميقة وشديدة الصلة بها صار من الصعب محوها أو تجاوزها.

3/ يغلب العامل الديني دوراً ريادياً أيضاً في عملية التعدد اللساني والدليل على ذلك ما عاشته البشرية بأن العصور المسيحية الأولى ،وما عاشته بعدها بفضل النفوذ الذي أخذه اللسان العربي بفضل القرآن الكريم ،وامتزاج الأجناس والأمم المختلفة وتأثرهم ببعضهم البعض.

4/ إضافة إلى ذلك كله ونتيجة للتحويلات الاقتصادية والتكنولوجية التي يستهدفها العالم المعاصر فرضت تعددية لسانية ،انطلاقاً من أنه صار لزاماً على كل المجتمعات أن تتكيف ولو نسبياً مع أوضاع جديدة وتتأقلم مع واقع فرض عليها التفتح على السنة صارت ضرورية في التواصل الاستراتيجي في الوقت الحالي ،على غرار الإسبانية أو الإنجليزية أو البرتغالية وغيرها من الألسنة النافذة.

5/ كذلك ساهمت موجات الهجرة المتواصلة على مدى العصر الحديث والمعاصر في تبلور تعددية لسانية ،داخل المجتمعات المهاجر إليها ،ما من بلد أروبي وأمريكي إلا ووجد فيه عدد لا يستهان به من المهاجرين الذين يشكلون تجمعات لسانية ،يصبح من الضروري أن تتأقلم مع واقع لساني جديد،ومن أمثلة ذلك العائلات المغاربية في أوروبا وخاصة في فرنسا، والأسسيويون في أمريكا ،وكذلك هنود أمريكا الجنوبية ،الأتراك في ألمانيا وغيرها في الحالات الكثيرة.

و إذا كانت هذه هجرات طوعية فانم هناك هجرات قصرية مفروضة ،على غرار آلاف اللاجئين الموجودين في كافة بقاع العالم ،والذن نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات التي يلجأون إليها ستأسس تعددية لسانية ،وأمثلة التي يمكن سوقها في هذا المجال كثيرة

إننا ونحن نتحدث عن التعدد يجب أن نضع نصب أعيننا إن الألسنة هذه ليست على درجة واحدة ،وذلك تبعاً لبنيتها ونظامها ،و اتساعها الاجتماعي وقدرة تأثيرها وهكذا.

ومن هذا المنطلق سيصنف بعض المختصين إلى أصناف صنفين :ألسنة كبرى وألسنة ناشئة وأخرى هجينة.

من الصنف الأول ما يصطلح عليه البعض بالألسنة العالمية ،وهي ألسنة كانت حاملة لحضارات ،وحاملة لقسم روحية دينية ،أو كانت حاملة للمعارف الإنسانية عرفت امتداد عبر التاريخ ،ورقعة الحديث بها متسعة بصورة تجعل مجتمعات كثيرة تتحدث بها فبكون من جهة وظيفتها ،واصفة لبينتها الحضارية وناقلة لأشكال المعارف الدينية والفكرية المتشعبة إلى الفنية والعلمية بقسميها النظرية والعملية وناشرة لإحدى الثقافات المؤسسة عقدياً والرأجة بين مجتمع أو أكثر محدد جغرافياً¹

إضافة إلى ذلك هي ألسنة تعرف تجانسا في نظامها البنيوي على كافة المستويات تتحدث بها مجموعة كبيرة من الأفراد ،ويحترمون معاييرها الصرفية والنحوية “وهي تختص بخصائص بنوية مطابقة لمميزات اجتماعية .فهي من حيث البنية تمتاز فضلا عن إمكان إدراجها في نمط لغوي معين باكتمال نسقها والاستعمال الواسع لإمكاناته التوليدية”²

ومن أمثلة هذا الصنف اللسان العربي واللاتيني والإغريقي وغيره من الألسنة الكبرى الحالية.

أما الصنف الثاني فهي ألسنة ناشئة ،تنشأ في معظمها عن الاحتكاك بألسنة أخرى ،تطبعها الشفوية ،لا تجسد كتابة ،بنيتها مهلهلة ،لا معايير تضبط مستوياتها ،تغلب عليها العفوية والارتجال ،والملاحظ أن أغلب العاميات شديد الصلة بهذا الصنف .فهي تتميز نسقياً بصعوبة إدراجها في نسق لغوي وبوجود خانات فارغة في تكوينها الصرفي والتركيبيوبفقر معجمها المرتبط مداخلة بالحرف اليدوية والمبادلات الضرورية للحياة الاجتماعية البسيطة ..³ ومن أنواع هذا الصنف لهجات بعض القبائل التي إندثر بعضها ،وما يزال بعضها قائماً لكن في نطاق ضيق جداً.

الصنف الثالث ونشأ نتيجة موجات الاستعمار وحملات الرق ،والتجارة ،يجسد هيمنة من نوع خاص واحتكاك نتيجته هذه الألسنة ،عبئ غرار ألسنة الكريول Créole والبيدجن Pidjin ،والسابير Sabir وغيرها ،التي جاءت نتيجة التأثير بألسنة كبرى مثل الفرنسية والعربية والانجليزية والاسبانية وغيرها .إن الحديث عن هذه التصنيفات يجرنا إلى حديث أساسي آخر وهو انه لا بد من الاعتراف بأن ألسنة العالم ليست متساوية ،رغم أن العلماء اهتموا بدراسة وتحليل أغليبتها ،وتعاملوا مع جميعها بطريقة علمية موضوعية تحاول الوقوف على خصائص كل السنا على حدة وفي علاقته مع الألسنة

الأخرى. فلا فرق لديهم التي إ استخدمت في كتابة آلاف المؤلفات والألسنة غير المكتوبة على الإطلاق. فكل الألسنة تستحق الدراسة والتحليل. لكن أن نساوي بين ألسنة كبرى وهجينة مثلا فهذا لا ينسجم مع منطق العقل. إ ن ما يعيشه العالم، وما عاشه سابقا، يؤكد ما نقول بالنظر إلى أن الألسنة صارت تحظى بأهمية إستراتيجية؛ وذلك تبعا لبعض المواصفات التي تتحقق فيها، وتبعا لوظائفها، والدليل الواضح على ذلك ألسنة مثل الانجليزية والاسبانية والفرنسية في العالم ولذلك لا يمكن على الإطلاق تصور وجود خمسة آلاف لغة تحظى بالقيمة نفسها والأهمية التجارية والاستخدامات، بل تنتظر المصير ذاته، فانا نعتقد وجود ما يسمى ببورصة اللغات التي تشهد تطور قيمة اللغات وتغيرها وما الى ذلك من أمور تشبه ما تتعرض له الأسهم التجارية في بورصة الأوراق المالية⁴

1-محمد الأرغواي -التعدد اللغوي - إ نكاساته على النسيج الاجتماعي -ص 23

2-نفس المرجع -ص 23

3- نفس المرجع -ص 24

4-جون لويس كالفيه- إ يكلوجيا لغات العالم -ترجمة باتسي جمال الدين -ص 18

ثم إن الحقيقة التي لا مناص منها هو إن ترسيم الألسنة واختيارها للتعليم وتفعيلها في سياسات لسانية لمجتمع ما انما يرتبط بقيمتها هذه التي تتحدث عنها .فاختيار الانجليزية لسانا أجنبية أو ثانيا لتعليمه وتعلمه ،شديد الصلة ،بما نقول والتركيز على العربية أيضا ،والاختيار النفعي البراغماتي قد يتجاوز في كثير من الحالات حتى الاختيار المبني على الهوية أو ذلك المبني على جوانب إيديولوجية محضة .

إن ظاهرة الانفتاح اللساني الذي تشهده المرحلة الحالية شديد الصلة بهذا المجال أيضا خاصة في ضوء التطور الرهيب لوسائل الاتصال ،مقولة العلم قرية صغيرة أصبحت تتأكد يوما بعد يوما ،وأصبحت الألسنة سلاحا ضروريا لتأقلم مع هذا الوضع الجديد ،ومسايرته لأنها الطريقة الوحيدة التي صارت تمكن الفرد من الاندماج والتكيف مع هذه التحولات السريعة .

بقي أن نشير أن التصنيف الذي وضعه المختصون على الثنائية ،يسري أيضا على التعددي اللسانية خاصة فيما يتعلق بالتعايش أو الصراع .لكن الأمر الملفت للاهتمام هو أن السياسات اللسانية والتخطيط اللساني يصبح أكثر من ضروري في الحالات التي يزداد فيها العدد عن ثلاثة ألسنة خاصة عندما يتعلق الأمر بترسيم لسان ما أو ألسنة في هذه المجتمعات .

يحتضن العالم حالات تعددية مختلفة ،تستوجب كلمنها معالجة معينة ،لذلك نجد أنه مع السنوات الأخيرة ،أصبح اللسان يكتسي أهمية من أي وقت مضى ،ذلك لان القضايا السياسية المتعلقة بالأقليات ،وتحولها إلى قضايا إستراتيجية .وأصبح العالم يعيش انقسامات يكون اللسان احد أسبابها الرئيسية باعتبار تجسيده لهوية الشعوب والمجموعة ووجودها وتموقعها في هذا العالم لذلك كله يصبح اختيار لسان رسمي في مجتمع متعدد الألسنة امرا يجب الاحتياط له كثير.....را.

المبحث الثاني: اللسان الرسمي والهوية الوطنية في ظل التعددية اللسانية

لقد كانت إشكالية اللسان الرسمي والهوية الوطنية ومازالت قضية جوهرية ،تثار في مختلف الميادين المعرفية خاصة مع ما يشهده العلم من تحولات فكرية ،وسياسية وصراعات أسس لها الاستعمار الحديث وبلورتها التحولات الاجتماعية المتسارعة الخطى .فلا غرابة إذن أن تكون هذه القضية مركز استقطاب الدراسات السوسiolسانية والأطروحات السياسية .

1-بين الهوية واللسان :

المعروف أن الهوية هي المظاهر الفكرية والثقافية والروحية التي من خلالها يتميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات ،والملامح التي تعكس طريقة حياته وعاداته ومعتقداته ،والقيم والمثل والمفاهيم

الحضارية التي عبرها تتبلور شخصيته ويتجسد انتماؤه وتتأسس ذاته التي تستمد خصوصيتها من مقابلتها للآخر واختلاقتها عنه. ولعل أهم مظهر لتجسيد هذه الهوية هو اللغة، كونها تشكل العامل الأساسي في تكوين الأمة، وربط نفوس الأفراد فهي مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان أدبه وسجل مطامحه وأحلامه وأفكاره وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانه عاداته وتقاليده¹. لذلك يثبت كل مجتمع بلغته، وتبقى عالقة في وعيه الجمعي، وتصبح هي لسان وجوده وعامل بقائه وسبيل دوامه، ومظهر تميزه، و اختلافه عن الآخر، ومن خلال توظيف المجتمع للغة تتبين شخصيته وحضارته، وبعبارة أخرى، بها تتجلى وتتضح ذاته التي تنعكس على طبيعة تفكير الفرد. و هذا ما يجعلنا نقول واثقين ان الفرد يندمج في المجتمع باللغة التي تلعب دور القلب النابض، محركا موحدا فيها وحدها يتلقى تراث أمته الفكري والوجداني والأخلاقي والديني والاجتماعي والسياسي² ونتيجة لكل ذلك يصبح للسان الدور الأبرز في الدفاع عن الذات، وعن الوجود من خلال محاولة تجسيد الهوية، و إبراز ملامحها أمام الآخر، ولذلك كانت هذه وبلا منازع ابرز صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا، حتى قيل انه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية²

في المجتمعات البسيطة الأحادية اللسان يبدو تقاطع اللسان مع الهوية أمرا محسوما، انطلاقا من إن اللسان يتمظهر في صورة واحدة، ينطلق فيها من الهوية ويعود إليها اللسان الثابت، الشخصية، الوطني، ثم الرسمي. وهذه الحالة نادرة الوجود في عالمنا باعتبار انه حتى في بعض المجتمعات التي ينظر إليها على أنها أحادية، يتمظهر اللسان على مستويين: الفصيح والدارج او الكلاسيكي والعامي، ويلاحظ نوع من التباعد بينهما نتيجة تأثيرات عدة ترتبط بطبيعة اللسان في حد ذاته، مدى تماسكه وقوته وأثره وتأثره بالألسنة الأخرى، خاصة في المجتمعات الحديثة الاستقلال، التي تعاني من رواسب الاستعمار، فرغم اعتمادها لسانا رسميا واحدا، إلا انه بسبب عدم التخطيط اللساني الجيد واعتماد سياسات لغوية غير سليمة، تغلب عليها الارتجالية وعدم وجود ظروف سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية مناسبة، ونتيجة التخلف الاقتصادي، يزداد التباعد بين الرسمي وما يوجد في الواقع. هذا التباعد يحدث خلا في انسجام الأنا مع الذات، ونتيجة الانبهار بالآخر، بلغة أخرى، وفكر الآخر، حضارة الآخر، تقدم وحرية الآخر.

2-مظهر العلاقة بينهما في ظل التعددية :

كل شيء في المجتمعات المركبة متعدد الثقافة، الأعراف والتقاليد وحتى المعتقدات في كثير من الحالات بعبارة اخرى عوض الهوية الواحدة تصبح الهويات وعوض اللسان الواحد تصبح الألسنة. وفي هذا المجتمع المتعدد الألسنة تشكل مظهرات اللغة تجسيدا واضحا للانا والآخر، علاقات تخضع للتجاذب

حيناً، والتصادم حيناً آخر يؤسسها تموقع لسان مقابل الألسنة الأخرى ،أما انطلاقاً من مكانته السيادية المتحكمة في الأمور الرسمية للمجتمع ،أو اعتماد كراف أساسي لها ،أو خضوعه لها وعدم اعتماده فيه أساساً.

وتبعاً لهذه العلاقات تطفو إلى السطح قضية الانتماء والهوية وتتفاعل إما سلبياً أو إيجابياً وتؤخذ مطية وشعاراً أو سلاحاً لإثبات الذات أمام الآخر وتبعاً لذلك كله يصبح اختيار لسان رسمي لمجتمع من هذا النوع أمراً غير محسوم مسبقاً ،بل بالعكس تتجاذبه مجموعة من الحسابات والخلفيات ،ويصير إذا لم يخضع إلى تخطيط لساني مبني على أسس سليمة محفوفاً بالمخاطر بالنظر إلى التركيبة الاثنية المعقدة لبعض المجتمعات وتبعاً لحساسية علاقات هذه التركيبات يأخذ الأمر بعداً آخر ،كثيراً ما يقترن بالهوية والوجود والانتماء وقليلة هي المجتمعات من هذا الصنف التي تعتمد لساناً رسمياً واحداً ،دون أن يؤثر ذلك سلبياً على الحياة السياسية فيها.

1-جميل صليبا،تعريب التعليم بين القائلين والمعارضين له ،في مجلة العربي عدد182،يناير 1974،ص120

2-عبد المجيد زرافط،اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى اصطناع العامية بديلة،مجلة المنطلق العدد 78،لبنان ،يونيو

1991 ص 64

3- علي نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، العدد 276 نالكويت 2001، ص 228

إن بحثنا و استقصاء متواضعين جعلنا نقف أمام حالات تمظهرات كثيرة للسان الرسمي في علاقته بالألسن الأخرى في هذه المجتمعات. ولأنه من الصعب التطرق إليها جميعها في هذه المقام، ارتأينا أن نحصرها في ثلاث حالات متباينة.

1- حالة انسجام Situation de cohésion :

وفيها يكون اللسان هي المعتقد، الهوية نفسها، الغاية بالذات المنشودة، أكثر من ذلك، هي المصير التي معها لا معنى للأنا الفردي الذي يذوب في الأنا الجمعي. ويتفرد بهذه الحالة ما يحدث في فلسطين المحتلة التي يصطلح عليها بإسرائيل أو الدولة العبرية. ولربما هي الحالة الأولى التي يختزل فيها المتعدد في الأنا الواحد. فعليا وعمليا، فرغم تعدد التركيبات الاجتماعية الوافدة إليها، وتعدد الألسنة باعتبار البلدان التي هاجرت منها، إلا أنها تصبو جميعها لتوظيف اللغة العبرية بل والأكثر من ذلك تحرص هي نفسها على ذلك. عدا عرب فلسطين المسلمين والمسيحيين الموجودين داخل إسرائيل.

“قالبر غم من عدم انتشار العبرية على نطاق واسع بين السكان في إسرائيل فقد اختاروا لتكون اللغة الحكومة الرسمية”¹ فاللسان الرسمي هنا هي المعتقد، هي الهوية، والجامع كونها الخصوصية والمميز عن الآخر.

2- حالة توافق Situation de consensus :

تكون الألسنة الوطنية جميعها ألسنة رسمية، حفاظا على تعدد هويات المجتمع، وفي هذه الحالة تحتفظ كل مجموعة إثنية بلسانها. عنوان هويتها، ولكنها تتوافق مع الآخر، تقبله، وتتكامل معه، حفاظا على الهوية الوطنية للوطن الواحد.

ورغم أن هذه الحالة لم تجسد في بعض الدول إلا بعد كفاح طويل وطول نفس نتيجة سيطرة وتسلط لسان واحد على الألسنة الأخرى، إلا أنها جنيت هذه الدول التفكك والتصدع، كونها خضعت لتخطيط لساني صارم، سخرت له كل الإمكانيات حتى ينجح.

والأمثلة على هذا النوع كثيرة، لعل أهمها ما يحدث في سويسرا، أين تتكامل الألسنة الفرنسية والاطالية والألمانية باعتبارها ألسنة وطنية اعتمدت جميعها كألسنة رسمية لهذا البلد. والأقرب منها بلجيكا أين رسم اللسان الفلاماني بعد أن كان اللسان فرنسي هي المسيطرة. فرأي الفلامندر ان في ذلك انتفاضا من شأنهم وتهميشا لهويتهم، وكان لهم ما أرادوه بعد طول مطالبة لإثبات الذات، والوجود، وعدم القبول بالذوبان في لغة وثقافة وهوية الغير.

ب- يوجد في بعض الدول عدد لا يحصى من الألسنة واللهجات، وهي حالة يصعب معها اعتماد لسان من هذه الألسنة الوطنية لسانا رسميا، أو التفريط في لسان آخر وتهميشه نظرا لتثبيت كل مجموعة بلسانها وعدم توفر الشروط العملية والعلمية لجعل هذه الألسنة ألسنة رسمية، وعدم توافر الإمكانيات الكافية لذلك في هذه الحالة لجأت بعض الدول الى اعتماد لسان دخيل كلسان رسمي، فاختارت لسان الاستعمار، فأخذت ذلك توافقا بين الألسنة المحلية الأخرى. وبعض الدول الإفريقية مثال حي لذلك، ومنها السينغال التي يوجد بها حوالي ستة ألسنة وطنية: الولوف wolf والبال peule والسيرير sereer والماندينغ manding والديول diola والبلانت balante² إلا أنها اعتمدت اللسان الفرنسي كلسان رسمي لتحاظ بذلك على انسجامها الاثني، وان كان في ذلك جنوح للأخر على حساب الذات، وما يحمل ذلك من تبعية”

ج- وهي حالة تشبه الى حد بعيد الحالة السابقة، إلا أنها تختلف عنها في اعتماد لسان رسمي لا يحمل خصوصيات وطنية فحسي، بل حتى إقليمية و جهوية والواقع أن هذه الحالة تشكل حالة نادرة بالنظر إلى إن التعامل مع اللسان يكون له أكثر من دلالة. دلالة الانتماء إلى العرق، إلى المكان وإلى الهوية في مفهومها الجمعي الواسع وفي هذه الحالة نجد اللسان المستعمل عنوانه التحدي واثبات الذات، لأنها لا تمتلك

جميع مواصفات الألسنة الرسمية الأخرى ولا تتوافر على جميع الإمكانيات المتوفرة لغيرها.

1- جورج يول-معرفة اللغة، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، الاسكندرية، ص236

ورغم ذلك تحاول أن تجد لها مكانا سياديا عوض أن تبقى تابعة ويبقى معها المجتمع كله مجتزئ الهوية. ولعل أحسن مثال لذلك اعتماد اللسان السواحلية في تنزانيا. يرى بعض المختصين "أن أفضل الأمثلة الحديثة ما يقدمه اتخاذ اللغة السواحلية اللغة الوطنية في تنزانيا في شرق إفريقيا ولا يزال ثمة عدد كبير من اللغات القبلية بالإضافة إلى الآثار الاستعمارية الانجليزية، ولكن أنظمة التعليم والتشريع والحكومة أدخلت بالتدريج اللغة السواحلية لتصبح لغة رسمية¹

حالة صراع وتصادم Situation conflictuelle :

قد يصبح اللسان الرسمي رديف الإقصاء والتهميش ورفض الغير عندما يأخذ طابع السلطة، دون احترام خصوصيات الآخر، أو الاعتراف بهوية فيصبح الدفاع عن اللسان والثقافة شعار الدفاع عن الوجود واثبات الذات فيبدأ الصراع فيأخذ منحى يتسبب في حالات المواجهة والتصادم. وهناك صراع لساني عندما تتواجه لسانان واضحا الاختلاف، لسان هو المهيمن سياسيا في الاستعمال الرسمي والاستعمال الشعب. ولسان آخر مهيم عليه²

وتبقى منه بؤر التوتر على غرار ما يحدث في بعض الدول من أمريكا الجنوبية والهند وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي يبدو فيها انسجام لساني ظاهريا. يفترض ان بلدا كالولايات المتحدة الأمريكية مجتمع منسجم اللسان حيث يتحدث كل فرد فيها الانجليزية .

وهذه نظرة خاطئة لأنها تتجاهل وجود مجموعات كبيرة ليست الانجليزية لسانهم، ومن الأمثلة على ذلك سكان سان أنطونيو وتكساس الذي يفضلون سماح برامج الإذاعة الإسبانية بدلا من الانجليزية³ ذلك أن أصول عدد كبير من الأمريكيين من أمريكا اللاتينية، خصوصا المكسيك والبرازيل والأرجنتين وكوبا وغيرها .

1-جورج يول -معرفة اللغة ص236

52-C.Baylon-sociolinguistique-Nathan-Vuef 2002 p1

جورج يول -معرفة اللغة ص236

المبحث الثالث: الواقع اللساني في الجزائر

تزخر الجزائر بثراء ثقافي و اجتماعي انصهر في شخصية واحدة جسدت الهوية الخاصة بهذا الوطن، و هذا الثراء جسده تنوع على كافة المجالات. و المتنقل على رقعة هذا الوطن يحس إضافة إلى لحمة شعبه، خصوصيات تتميز بها كل منطقة من مناطقه، فهوية هذا الشعب متجذرة في أعماقه، و التنوع الثقافي يضفي عليها مسحة خاصة، تجعلها بلدًا متنوع الثقافة، موحد الهوية و الشخصية، التي قوامها العروبة و الأمازيغية و الإسلام. و التي تعكس تجذرًا في التاريخ و تأصلًا فيه.

و لعل من أهم تمظهرات هذا الثراء و التنوع، التعدد اللساني الموجود في هذا البلد. و مسح بسيط لمناطق الجزائر، تجعلنا أمام حالات لسانية ثلاث أساسية و رابعة ثانوية.

1- العربية الفصحى:

هي اللسان الوطني، و اللسان الرسمي، و أحد المقومات الأساسية لهوية شعبه، لسان يعكس ارتباط الجزائر بقوميتها العربية، و تاريخها المتجذر في أعماق تاتاريخ. لسان ثقافتها النخبوية، الفكرية. لسان التعليم الأول في كافة أطواره، لسان مختلف مناحي الحياة الرسمية، و في كافة الميادين، إن على مستوى هيئاتها السياسية، أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية.

لسان يصطلح عليه بعض المتخصصين باللغة النموذجية " مصطلح يوظف في علم اللغة الاجتماعي للإشارة إلى تنوع خاص من تنوعات اللغة في المجتمع المعين.. إنه التنوع ذو الخطوة الرسمية و الأدبية و المأخوذ نموذجًا أعلى للإلتباع لانتظامه سمات ترشحه لهذه المكانة".¹

و للتذكير فإن ترسيم اللسان العربي في الجزائر لم يكن هيئًا، بالنظر إلى الحملة الشعواء التي قادها المستعمر ضده إبان فترة الاحتلال، و محاولته القضاء عليه، لأنه كان يعرف أن الدعامة الأساسية لشخصية هذا الشعب، و تأكد من أن السبيل الوحيد لذوبانه و إدماجه مع خطته الاستعمارية، هو محو معالم هذه الشخصية الأساسية خاصة الدين الإسلامي و اللسان العربي.

2- اللسان العامي أو الدارجة:

إن الدارجة دارجات و العامية عاميات في علاقتها بالعربية، فكل بلد عربي لسانه الدارج و العامي المختلف عن البلدان الأخرى، و العامية في الجزائر لها خصوصيتها التي تجعلها متفردة عن العاميات الأخرى، " و هي لغة دارجة لأن الناس في مجتمعهم درجوا على توظيفها و اعتادوا على استعمالها دون غيرها في الغالب الأعم. و هي عامية لأنها أسلوب العامة و لا الخاصة"¹، نلمس فيه ظاهرة تأثر واضحة بالأسنة عديدة. و حتى على المستوى العامية نلمس اختلافات و لو نسبية، عبر مختلف مناطق الوطن. فساكن الغرب الجزائري لهم عاميتهم، و الوسط أيضاً و الشرق كذلك، و الجنوب يتفرد أيضاً بعاميته، لكنها عاميات لها قواسم مشتركة كثيرة، تبتعد أو تقترب تناسباً إلى العربية الفصيحة. لذلك يحد بعض الدراسين تسمية العامية بالعربية البسيطة. و الملاحظ أن العامية الجزائرية، تقترب في نبرها و تنغمها، إلى البلدان الشقيقة المجاورة، فساكن تبسة و الطارف و غيرها من المدن الشرقية أقرب في نبره و تنغمه من ساكن تونس، و ساكن تلمسان و مغنية و الغزوات و بني و نيف و غيرها أقرب من المغاربة الأشقاء.

و اللسان العامي هو اللسان الذي يجسد و بصورة أوضح، ظاهرة التأثر و التأثير بين الألسنة المتداولة في الوسط الجزائري، رغم تعدد لهجاته. لذلك فهو " العامية الجزائرية المتفرعة عن العربية. و اللهجة الدارجة أو العامية الجزائرية ظهرت نتيجة لتفاعل و تلاقح التيارات الثقافية العربية و الإسلامية و البربرية من جهة، و الفرنسية من جهة أخرى، و بالتالي فهي تعكس الطابع الثقافي المتميز لدول المغرب العربي".²

3- اللسان الأمازيغي:

الدعامة الأساسية الثالثة لشخصية هذا الوطن، اللسان التاريخ، لسان الأحرار، المتجذرة أصولهم، في أعماق تاريخ هذه البلاد، محتضنو العروبة و صانعو أمجاد الإسلام في شمال إفريقيا و بلاد الأندلس. لسان جزء كبير من ساكن شمال إفريقيا.

هو اللسان الوطني الثاني، لسان مجموعة لا بأس بها من الجزائريين الموجودين في كل أرجاء الوطن و لو ينسب متفاوتة. و ما من منطقة في الجزائر إلا و وجدت فيها مجموعة تتحدث بالأمازيغية، إلا أن العدد الأكبر منهم إنما يتمركز بمنطقة القبائل، و منطقة الأوراس في الشرق الجزائري، و منطقة وادي ميزاب، و بني سمغون، و أقصى الجنوب الجزائري.

إن اللسان الأمازيغي يتمظهر في اللهجات مختلفة، لعل أهمها ما يعرف بالقبائلية، و الشاوية، و الميزابية.

1- كمال بشر، نفس المرجع، ص187

2- أحمد بكار، تعليم و تعلم اللغة العربية على ضوء اللسانيات الحديثة و البحوث التربوية المعاصرة، مجلة اللغة العربية، العدد الثالث، الجزائر، 2000، ص141

4- اللسان الفرنسي:

يمثل الحالة الثانوية، الدخيلة، الغربية عن هذا الجسم الثلاثي الأبعاد، لكنه الحاضر بقوة الواقع، الذي فرضته، تراكمات و ممارسات و عقليات، و ظروف، و تفاعلات، لا ينبغي بأي حال من الأحوال تجاهلها. بالعكس يجب استثمارها لكن بطريقة واعية تجعله لساناً تابعاً و ليس متبوعاً، لسان وسيلة وليس لساناً غاية، لسان التفتح و ليس لسان الذوبان.

إن اللسان الفرنسي يجسد حالة التناقض التي يعيشها المجتمع الجزائري، على الأقل على مستوى ثقافته و تفكيره. و " إن الثنائية (عربية / فرنسية) المنجزة عن تدمير البنية الثقافية الأصلية للمجتمع الجزائري من جراء الوجود الكولونيالي هي أساس المشكلة اللغوية المعيشة منذ الاستقلال، إنها سبب ظهور انقسام اجتماعي على أساس ثقافي لا سيما على مستوى النخب. فالانقسام الثقافي المتأني من ممارسة لغوية قائمة على ثنائية تنازعية أدى إلى اهتزاز المرجعيات المشتركة للمجتمع." ¹ و هو لسان التعليم الذي فقد نوعاً الحظوة التي نالها دوماً، حيث كان المنازع الأول للسان العربي المهدهد لوجوده، ليتزحزح إلى دور ثانوي، رغم بقاءه لسان تعليم في المراحل الأولى، و هي المكانة التي يحسد عليها من قبل ألسنة مثل الإسبانية و الإنجليزية، لأنه اللسان الأجنبي الأول.

هو لسان الفكر و الأدب و الثقافة و الإعلام عند فئة من الجزائريين، و لسان الرسميات في مستويات معينة. رديف الحضارة و الانفتاح عند تغريبيين كثيرين، المسجد لازدواجية الصراع اللساني الفعلية في الجزائر، بالنظر إلى أن المدافعين عنه، يسمون اللسان العربي بالتحجر، و يحملونه كل نكسات المجتمع و تخلفه، و اعتمادها ذرائع للتشكيك الدائم في مقوماته.

لسان الحالمين و الواهمين بأن الحديث بها وحده كاف لتجسيد مكانة اجتماعية و تصور معين للحياة، بعيد عن واقعهم. لسان الناقلين عن كل ما هو عربي. " إذ يشكل الفرونكوفونية في بلدان المغرب الغربي جامعاً للمنتفعين بلسانهم الفرنسي أياً كانت لغة منشئهم، ... و يوحدهم لدفع مخاطر التعريب". *

لسان استثماره قليل من الجزائريين بصورة واعية، و وظفوه بطريقة نفعية، شأنه شأن جميع الأسئلة، فأضحى عندهم عاملاً من عوامل التكامل الحضاري، دون الذوبان الكامل في الثقافة التي يجسدها.

1- ابراهيم سعدي، إشكالية التواصل اللغوي بالجزائر، مجلة اللغة العربية، العدد الثاني، الجزائر، 1999، ص153

ما نستخلصه عن الواقع اللساني في الجزائر في الأخير، هو ما أوجزه الأستاذ صالح بلعيد في هذا المجال حينما قال: " يمكن إجمال الوضع اللغوي في الجزائر كما يلي:

1/ اللغات ذات الانتشار الواسع: العاميات أو الدرجات العربية، و هي متنوعة و لكنها تتحكم إلى قواسم مشتركة.

2/ اللغات المحلية: الأمازيغية بمختلف تأديتها و لهجاتها.

اللغات الكلاسيكية: العربية الفصيحة و اللغة الفرنسية¹.

و هذه الألسنة يفترض أن تؤدي تبعاً وظائف خاصة بها أسستها السياسة اللسانية للدولة و تخطيبتها اللساني الرسمي، اكن الملاحظ أن هذا المجال بالذات يعاني في بلادنا خلافاً بالنظر إلى أنه لا يعطى اهتمامه المنوط به، في حين أن كل الدول و عت ذلك.

4- إشكالية اللغة الأم Langue maternelle في ضوء التعدد اللساني في الجزائر:

إننا حينما نتمعن جيداً في الحالة اللسانية في الجزائر، و التي حاولنا الوقوف على مظهراتها، في الأسطر القليلة السابقة، نجد أنفسنا أمام إشكالية معقدة نوعاً ما، تتمثل أساساً في تحديد اللغة الأم، و نجد أنفسنا أمام أسئلة، يحصل نوع من التناقض و الالتباس حين محاولة الإجابة عنها. بالنظر إلى حساسية القضية التي تجنح في أغلب الأحيان إلى أمور عاطفية مرتبطة بالهوية و الانتماء أكثر منها عملية، و بالنظر إلى أن تعريف اللغة الأم في حد ذاته فضفاض و ينتابه كثيرة من الغموض نتيجة التباين الكبير الوارد في تعريفه، " تعريف كان مصاحباً وجهة نظر إيديولوجية، و لذلك تشعب و نال أبحاثاً كثيرة، خاصة عند الباحثين الغربيين، حيث أجروا دراسات مهمة بغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم لغة المنشأ، اللغة الوطنية، اللغة القومية، اللغة الجهوية"².

إننا إذا سلمنا بأن اللسان الأم هو لسان المنشأ، و اللسان الأكثر استعمالاً في الوسط العائلي، و هو اللسان الذي يتواصل به في المحيط أكثر من غيره سنجد أنفسنا أمام مظهرات مختلفة لهذا اللسان الأم. و كلها تجسد تعدداً بدوره في تجسيد اللسان الأم في حد ذاته.

و إذا سلمنا بأن اللسان العلمي هو الأكثر استعمالاً و في مختلف مناحي الحياة فإنه سيكون هو اللسان الأم و بدون منازع، لأنه لسان المنشأ و لسان التواصل اليومي، و لسان تفاهم الجزائريين في كل مناطقهم، و الخال في الواقع كذلك في جميع الدول الغربية. " و يميل بعضهم إلى تسميتها اللغة الأم للعرب بمعنى أنها الصيغة الشائعة الموظفة توظيفاً عاماً بين أوساط الناس"³.

1- محمد الأوراعي، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص130

2- صالح بلعيد، اللغة الأم و الواقع اللغوي في الجزائر، في مجلة اللغة الأم، ص09

3- المرجع نفسه، ص04

أما العربية الفصحى فهي الإشكال الأكبر، لأن تحديد استعمالها الشامل و اليومي المستمر غير محدد، فلا تستعمل إلا في كثير من الأحيان، إلا في مستور أكاديمي فكري، أو رسمي عال. و حالتها هذه لا تؤهلها أن تكون اللسان الأم، لكن إذا ربطناها بالعاميات التي هي شديدة الصلة بها، و التي تمثل المظهر البسيط لها نقول إنها فعلاً اللسان الأم لكل الجزائريين على الأقل الجزء الأكبر منهم، ضف إلى ذلك ارتباطها الشديد بشخصيتهم العربية الإسلامية.

أما اللسان الفرنسي فلا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعتبر اللسان الأم، رغم استعماله من طرف شريحة لا بأس بها. لأنه عريب عن هذه الديار أولاً، و لأن الدولة اعتمدته صراحة كلسان أجنبي شأنه شأن جميع الألسنة الأخرى التي تعلم، انفتاحاً على العالم و ثقافته.

5- أثر التعدد اللساني على التواصل و التعليم في الجزائر:

إن هذا المسح البسيط للواقع اللساني في الجزائر يثبت بما لا يدع مجالاً من الشك أن الجزائر متعددة الألسنة، فكل لسان يتأثر بالألسنة الأخرى، و بقدر ما يكون التأثير كبيراً بقدر ما ينتج مظاهر تواصل جديدة تستمد دعوماتها من هذا التعدد.

و ما نعيشه يومياً من توليد لألفاظ و مصطلحات و عبارات جديدة و بزخم كبير سوى كون هذه الحركية تمشي بوتيرة سريعة، و المر ليس مختصراً على المستوى الداخلي فالسنة العالم كلها أصبح لها تأثيرها رغم بعدها.

و من أهم خصائص هذه الطريقة، تركيزها على تعليم المفردات المتداولة و التدرج فيها من تلك البسيطة العادية التي تحمل معن حسية إلى مفردات أكثر تحديداً، الاعتماد على النحو و قواعده لكن بطريقة عفوية تختلف عن طريقة اعتماده في الطريقة التقليدية، التركيز على الجانب الشفوي للغة، و النطق السليم و استثمار كافة عناصر اللغة و مستوياتها، بدءاً بالصوت ثم المقطع ثم الكلمات ثم الجملة و هكذا، و الاعتماد على المقاربة الشاملة للمعنى.

و الجدير بالذكر أن مع تطبيق هذه الطريقة بدأ الاهتمام باستعمال بعض الوسائل السمعية البصرية، التي كانت بسيطة في بدايتها، إضافة إلى اعتماد تقنيات الصور و الرسومات، كل ذلك لوضع المتعلم في وضعيات تسمح له بالحديث باللغة الهدف و ممارستها. لكن محدودية تأثيرها في المراحل الأولى من تعليم اللغة الأجنبية، جعل الكثير يعيد النظر فيها هي أيضاً.

الخاتمة

إن اللغة العربية بإمكانها كسب الرهانات الملقاة على عاتقها، والتاريخ يشهد لها فقط ان تخذل من طرف أبنائها، الذين هم سلاحها الأساسي الذي يكفل لها التمتع على جميع الأصعدة، خاصة المعرفية والتكنولوجية وذلك بالثقة في قدراتها العظيمة كحاملة للمعارف بشتى أنواعها.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد حساني دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 2000
- أحمد محمد قدور مبادئ اللسانيات دار الفكر الطبعة الاولى دمشق 1999
- أندري مارتيني مبادئ في اللسانيات العامة ترجمة سعدي زوبير دار الأنفاق الجزائر دا.
- جميل صليبا تعريب التعليم بين القائلين والمعارضين له في مجلة العربي عدد 182 يناير 1974
- جورج موانان تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ترجمة بدر الدين القاسم وزارة التعليم العالي ط 1 جامعة حلب 1981.
- جورجول معرفة اللغة ترجمة محمود فراح عبد الحافظ دار الوفاء الاسكندرية.
- حنون مبارك مدخل اللسانيات سويسر دار توبقال للنشر الطبعة الاولى المغرب 1987
- صالح بلعيد دروس في اللسانيات التطبيقية دار هوما الجزائر ط 2000
- عبد السلام المسدي اللسانيات واسسها المعرفية الدار التونسية للنشر د ت
- عبد المجيد زراقت اللغة العربية الفحص والدعوة الى اصطناعي العامية لغة بديلة مجلة المنطلق العدد 78 لبنان يونيو 1991
- عبده الراجحي علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1995
- علي ايه اوشان اللسانيات والديداكتيك نموذج الدخول الوظيفي من المعرفة العلمية الى المعرفة المدرسية دار الثقافة الدار البيضاء ط 2005
- علي عبد الواحد وافي علم اللغة مكتبة نهضة مصر ط 5 القاهرة 1962.
- علي نبيل الثقافة العربية وعصر المعلومات عالم المعرفة العدد 276 الكويت 2001.
- الفاسي الفار اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية دار توبقال للطباعة والنشر الدار البيضاء ط 1985
- كمال بشير علم اللغة الاجتماعي دار غريب للطباعة هو والنشر والتوزيع القاهرة دت
- لويس جون كالفيه ايكولوجيا لغة العالم ترجمة بادسي جمال الدين مراجعة وتقديم مديحة الدروس المجلس الاعلى للثقافة ط 1 القاهرة 2004

- محمد المباشري الخطاب الديدانكتيكي بالمدرسة الأساسية بين التصور والممارسة مقارنة تحليليه نقدية دار الثقافة ط1 الدار البيضاء 2002
- محمد اوراغي التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بحوث ودراسات.
- المصطفى بن عبد الله بوشوك تعليم وتعلم اللغة العربية مثاقفتها مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ط3 2000
- ميشال زكريا اللسانية عالم اللغة الحديث المبادئ والعلام المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت طبعه -2- 1982
- ميشال زكرياء اللسانية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط 2 1986
- يحيى أحمد الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة مجلة عالم الفكر المجلد 20 العدد 3 الكويت 1989

المواقع الإلكترونية :

.summerh@ uaeu_ac.ae

فهرس

	إهداء
	شكر و تقدير
أ - ب	مقدمة
05-01	المدخل
الفصل الأول: تعليمية اللغة: التأسيس و المفاهيم و الاهتمامات	
06	المبحث الأول: من اللسانيات التطبيقية إلى تعليمية اللغات
12	المبحث الثاني: التعليمية: الموضوع و المفاهيم
21	المبحث الثالث: تعليمية اللغات: الأصول، الاهتمامات، طرق تعليم اللغات
الفصل الثاني: التعليمية بين الأحادية و التعدد و الهوية	
27	المبحث الأول: اللسان الأحادية و التعدد والثنائية
40	المبحث الثاني: اللسان الرسمي والهوية الوطنية في ظل التعددية اللسانية
46	المبحث الثالث: الواقع اللساني في الجزائر
52-51	خاتمة
	قائمة المصادر و المراجع
	فهرس